قداسة البابا شنودة الثالث

كلمة منفعة

الجزء الأول (من ١ إلى ٥٠)

words Of Spiritual Benefit
Vol.I From 1 - 50
By
H.H. POPE SHENOUDA III

الطبعة السابعة
أكتوبر ١٩٩٠
القاهرة

7 th Print
Aug. 1989
Cairo

باسم الآب و الإبن و الروح القدس

الإله الواحد آمين

تصدير

قصدنا أن نقدم لك ١٠٠ كلمة منفعة على جزءين ،

حسبما يحمل أسم هذا الكتاب ..

و لكن يبدو أن الحديث بيننا سيطول .

فهناك جزء ثالث له طابع خاص ..

سيصدر ايضاً تحت عنوان [كلمة منفعة] ،

إنتظر كحلقة من هذه المجموعة .

و كل ما نريده من نشر هذه الحلقات ، أن يكون لنا جميعاً فكر واحد .

و أن يكون هذا الفكر ، هو فكر المسيح (١كو ٢ : ١٦) .

شنوده الثالث

١١سبتمبر ١٩٨٠ (أول توت)

بدء السنة القبطية

وسط زحمة الحياة و مشاغلها و ضوضوئها و اهتماماتها الكثيرة مـــا أجمـــل أن يتفـــرغ الإنسان – و لو قليلاً – للجلوس مع الله ، فى جو التأمل ، و الصلاة ، و انفتاح القلب على الله ..

هنا يلجا الإنسان إلي السكون والهدوء ..لأن الحديث مع الله ، يليق به الإنفراد بالله ...

من أجل هذا نقل الله ابانا إبراهيم من و طنه ، و من بين أهله و عشرته ، إلى الجبل ، إلى حيث ينفرد فى خلوة مع الله .. هناك يبنى المذبح .. و فى خلوة على الجبل المقـــدس ، قضى موسى أربعين يوماً مع الله ، أخذ منه الناموس و الوصايا ، و أخذ المثال الذى علـــى نسقه بنى خيمة الإجتماع .

و فى خلوة على الجبل ، كان السيد المسيح يلتقى بتلاميذه ، و أحياناً كان يأخـــذهم إلـــى موضع خلاء .. كلمة الله ، يليق بها السكون و الهدوء .. و على جبـــل الكرمـــل ، فـــى الهدوء ، تدرب إيليا النبى . و فى البرية ، مدى ثلاثين عاماً ، تربى يوحنا المعمدان . و فى الهدوء و السكون ايضاً ، تدرب أعضاء مدرسة الأنبياء .

و لم يصر موسى نبياً ، و لم يختره الرب للقيادة ، إلا بعد أن قضى فى البرية اربعـــين سنة ، فى السكون ، بعيداً عن قصر فرعون و ضوضائه و سياساته ..

و السيد المسيح نفسه ، على الرغم من السكون غير المحدود الكائن فـــى أعماقـــه ، و على الرغم من صلته الأزلية الدائمة بالآب ، لكى يعطينا مثالاً ، لم يبدأ خدمته العلنية إلا بعد أربعين يوماً قضاها وحده فى الجبل ، فى حياة السكون ، مع الآب ..

و كان الجبل ، له موقعه و موضعه ، فى حياة الرب . و ما أجمل قول الكتاب فى ذلك " مضى كل واحد إلى بيته . أما يسوع فمضى إلى جبل الزيتون " (يو ٨ : ١) .

و كان بستان جسيمانى مكان هدوء و سكون للمسيح . يقضى فيه فترات من الخلـــوة ما أعمقها .

و كانت مريم أخت مرثا مثالاً لحياة السكون ، فى جلستها الهادئة عند قـــدمى الـــرب بقوله " أنت تهتمين و تضطربين لأجل أمور كثيرة و الحاجة إلى واحد " ..

ليتك إذن تبحث عن مركز السكون فى حياتك؟

و هل أنت تهتم و تضطرب لأجل أمور كثيرة .. و متى تهدأ إلى متى ؟

قد تكون إبناً لله ، و خادماً فى الكنيسة ، وموظباً على أعمال روحية ، و مع ذلك فأنـــت واقع تحت وطأة الحزبية ، و خاضع لمشاعرها .. !

و الحزبية هى أن تهاجم البعض ، بلا معرفة ، و بلا تفكير ، وربما بـــلا أســـباب .. ! بينما تؤيد البعض و تدافع عنهم ، بنفس الأسلوب ، بلا معرفة ، بلا تفكير، بلا أسباب ..!

الحزبية فيها بولس و أبولس ، الأمر الذى انتقده الرسول ، ووبخ عليه أهل كورنثوس (١كو ٣ : ٣ ، ٤) " لأنه متى قال واحد أنا لبولس ، آخر و أنا لأبولس ، ألستم جسديين و تسلكون بحسب البشر " ..

الحزبية لا تتفق مع روح المحبة ..

لأن الشخص الذى تنتقده و تهاجمه و تقف ضده ، قطعاً لا تحبه .. و " المحبة لا تقبح ، و لا تظن السوء " (١كو ١٣)

و الحزبية لا تتفق مع الحق و العدل ..

إذ غالباً ما تكون المهاجمة فى نطاق الحزبية ، ليست كلها صدقاً و لا عدلاً .. على الأقل فيها لون من المبالغة ، أو لون من التجنى . مبعثه حقد داخل القلب ..

و الحزبية لا تبنى ، بل تهدم ..

إنها نفتت القوى ، و يفرق الشمل ، و تستخدم كل الطاقات فى غير مجالها الطبيعى .. تضيعها فى المشاحنات و الأنقسام ، و فى النقد و النقض .

الحزبية ضد وحدة الفكر ..

و هى تجسيم للذات ، أو للروح القبلية .. و لا تتفق مع حياة الكنيسة المقدسة التى قيل عن أبنائها " كان الجميع معاً بنفس واحدة " (أع ٤ : ٣٢) .

و هى ضد و صية الرسل فى قوله " مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح برباط الصلح الكامل .. لكى تكونوا جسداً واحداً وروحاً واحداً ، كما دعيتم إلى رجاء دعوتكم الواحد ، رب واحد ، إله واحد ، معمودية واحدة " (أف ٤) .

و الحزبية قد تأخذ روح التنافس أو المعارضة بالنسبة إلى الآخرين ، وروح الإفتخار بالنسبة إلى الذات ..

و قد تأخذ مظهراً من مظاهر (عبادة الأبطال) ، أو الإنتمائية العامة .. و يصبح كل ما هو أمامك : مجموعتنا ، جمعيتنا ، فرعنا ، كنيستنا (على مستوى الحى) ، بلدنا ، قريتنا

قال أحد القديسين :

لو اجتمع عشرة آلاف من الملائكة ، لكان لهم رأى واحد ، للأسف حينما يجتمع عدد قليل من البشر ، فإنهم يختلفون ! ..

و الإنقسام قد يكون دليلاً على وجود الذات ..

الذات التى تعمل وحدها ، بعيداً عن روح الله .. و التى لا تبالى بالنتائج الخطيرة التى يسببها الإنقسام ! و ما هى هذه النتائج ؟ .. قال أحد الأدباء :

تنازع نسران على فريسة ، كانت من نصيب الثعلب .. و لهذا قال السيد المسيح " كل بيت منقسم على ذاته يخرب " ، إنها عبارة ينساها المنقسمون .

كثيراً ما تقوم جماعة بعمل إنقسام ، تترك الجو خراباً ، ثم تمضى لحاله ، و كأنها لم تفعل شيئاً ! بينما يطالبها الله بدم ما قد خربته بأفعالها .. الإنقسام بين الأخوة يدل على عدم محبة ..

وانقسام الصغير على الكبير يدل على التمرد ، وعدم الطاعة ، و عدم احترام الرئاسات ٠٠ و كلها خطايا ٠

و كما قد يدل الإنقسام على كبرياء فى النفس ، أو اعتداد بالذات ٠ و غالباً ما يكون أب الإعتراف خارج الدائرة فى كل هذا ، لا يستشار فى شئ ٠٠

فى رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس ، وبخهم على الإنقسام ، ووصفهم بأنهم جسديون (١كو٣) ٠ ذلك لأن المنقسمين بعيدون عن وحدانية الروح ٠

إن أعضاء الجسد الواحد تتعاون معاً لخير الذى يتعاون فيه الكل معاً ٠

و الواحدانية تحتاج إلى احترام الرأى الآخر ، أو على الأقل التدريب على التعامل مع الرأى الآخر ، دون ثورة ، و دون غضب ، ودون تشير ، و دون تحطيم ٠٠

نصيحة نقولها لكل من يسير فى طريق الإنقسام :

حاول أن تكسب غيرك ، بدلاً من انقسامك عليه ٠

كن موضوعياً ، و ابعد عن المسائل الشخصية ٠

درب نفسك على التعاون وروح الجماعة ٠٠

[٥٤] الذى يجب أن ينتفع

الذى يحب أن ينتفع ، يبحث عن المنفعة ، و ليس الكلام الكثير هو الذى ينفعه بل إن مجرد كلمة واحدة قد تغير حياته كلها ٠٠ بل أنه ينتفع أيضاً من الصمت ، كما قال القديس بفنوتيوس عن أحد ضيوفه : " إن لم ينتفع من سكوتى ، فمن كلامى ايضاً سوف لا ينتفع " عبارة واحدة سمعها الأنبا أنطونيوس ، كانت سبباً فى رهبنته ، و فى تأسيس هذا الطقس الملائكى ٠ و عبارة أخرى كانت سبباً لدخوله فى البرية الجوانية و حياة الوحدة ٠ إن الله لا يشترك أن يعلمك بكلام كثير ، إنما تكفى عبارة واحدة ، و الوصايا العشر عبارات قصيرة ، و لكنها تحمل كل التعليم ٠

و الصلاة الربانية عبارات قصيرة و تحمل عمق طلبات الصلاة و الذى يحب أن ينتفع ، يسعى و تحمل عمق طلبات الصلاة ٠ و الذى يحب أن ينتفع ، يسعى وراء المنفعة بأى ثمن

كان السواح يتحملون أسفاراً طويلة ، لكى يسمعوا مجرد كلمة من أحد الآباء ، و الآباء أنفسهم كانوا ينتفعون ، من أى منظر ، أو حتى من أبنائهم ٠

إن الذى يطلب الخير يجده ٠٠

و لو فى كلمة عابرة ، من أى أحد ، و لو فى حادث عابر ، حدث له أو لغيرة ٠ ينتفع حتى من أخطائه ، و من أخطاء الناس

قال أحد القديسين " لا أتذكر أن الشياطين أطغونى فى خطية واحدة مرتين " ذلك لأنه انتفع من سقطته الأولى ، فاحترس من الثانية ٠٠

و السيد المسيح دعانا أن ننتفع من منظر زنابق الحقل ، و من طيور السماء ، و نأخذ منها دروساً فى الإيمان و فى رعاية الله ٠

إن مصادر المنفعة موجودة : ليست فى كلام الوعاظ فقط ، و لا فى الكتب الروحية فحسب ، و إنما فى كل مكان ، و فى كل وقت ٠ و المهم هو : هل تريد أن تنتفع أم لا ٠

و صوت الله يصل إلى كل أحد ، بأنواع و طرق شتى ٠ و لكن " من له أذنان للسمع فليسمع " ٠

[٥٥] العمل الجاد

قال الكتاب " ملعون من يعمل عمل الرب برخاوة "

إن الذى يعمل عمل الرب ، يجب أن يكون " أميناً حتى الموت " فالأمانة شرط أساسى للخدمة بهذه الجدية كرز الرسل باسم المسيح ، و كانوا يكرزون " بكل مجاهرة و بلا مانع " و بقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة ٠٠ و نعمة عظيمة كانت على جميعهم " (أع ٤ : ٣٣) و نتيجة لهذا العمل الجاد ، الأمين ، المخلص ، انتشر الملكوت ٠ أنظر ما يقوله الرب لملاك كنيسة أفسس : " أنا عارف أعمالك و تعبك و صبرك ، و قد احتملت ، و لك صبر ، و تعبت من أجل إسمى و لم تكل " (رؤ ٢)

العمل الجاد يبنى على الإيمان ٠٠٠

كلما كان إيمانك بعملك و أهميته و خطورته ، إيماناً حقيقياً كاملاً ، على هذا القدر تكون جديتك فى عملك ٠ و الرخاوة فى العمل دليل على عدم الإيمان بأهميته ٠٠

و العمل الجاد يدل على إحساس بالمسئولية :

تماماً كما كان يعمل يوسف الصديق فى خزنه للحنطة ، شاعراً أن حياة كثيرين تتوقف على أمانته ٠٠

و هكذا فى الخدمة الروحية : حياة كثيرين تتوقف على أمانة الخادم إن أهمل فى خدمتهم ضاعوا ٠

العمل الجاد عليه رقابة من داخل النفس ٠٠

رقابة من ضمير الإنسان ٠ و من صوت الله فى داخله ٠ رقابة من شعوره الحى ، و من غيرته المقدسة ٠٠ إنه يعمل بجدية لأن " الوقت مقصر " و كل دقيقة لها حسابها ، و كل تأخير أو تراخ ، له خطورته ٠٠

و العمل الجاد هو دائماً عمل ناجح ٠٠

إنه عمل متقن ، لأن الجدية تتقن العمل ٠٠ و العمل المتقن عمل ناجح ٠ و قيل عن الرجل البار : " و كل ما يعمله ينجح فيه " ٠٠

و العمل الجاد ، لا يهدأ حتى يتم ٠٠

إنه لا يعترف بالتعب ، و لا يطلب راحة ٠٠ و لا يستريح صاحبة حتى يتممه ، و يذوق ثماره ٠٠ مثل لعازر الدمشقى الذى لم يسترح حتى أخذ رفقة زوجة لابن سيده ، و لما أرادوا إراحته أجاب " لا تعوقونى " ٠٠

[٥٦] أنا وحدى

ظن إيليا النبى فى وقت ما ، أنه الوحيد الذى يعبد الرب ، و قال له " و بقيت أنا وحدى لأعبدك " ، فرد عليه الرب أنه توجد سبعة آلاف ركبة لم تنحن للبعل ٠

ما أخطر الشعور ، بأننا الوحيدون الذين يعبدون الرب ، أو الوحيدون أصحاب المبادئ !!

و ننسى أنى هناك ٧٠٠٠ ركبة (و هى مضاعفات عدد كامل) تعبد الرب ، و نحن لا نعرف هناك من يدينون الجيل كله ، و يحكمون على كل الشعب بالضياع و الفساد !! و ينسون هناك مختارين للرب ، قد لا يعرفونهم ، و لكن الله يعرفهم ٠

كان الكتبة و الفريسيون يظنون أنهم هم وحدهم ، حفظة للناموس ، و هم وحدهم المدققون فى أمور الشريعة ، لذلك أصيبوا بالكبرياء و عجرفة القلب و التعالى على الآخرين ، و صاروا يدينون غيرهم و يصفونهم بأنهم خطاة حتى السيد المسيح نفسه ، إتهموه بأنه كاسر السبت ، و ناقض الناموس ، وانتقدوه لأنه كان فى اتضاع يجلس مع العشارين و الخطاة ٠

لما حورب الأنبا أنطونيوس بالبر الذاتى ، و ظن أنه وحده الراهب ، أرسله الله إلى حيث القديس الأنبا بولا السائح ، ليريه أن هناك من هو أفضل منه ، و إن كان من ال ٧٠٠٠ ركبة غير الظاهرين ٠٠

و لما حورب القديس مكاريوس الكبير بنفس الحرب ، أرسله الله إلى إمرأتين متزوجتين فى الأسكندرية ، قال له إنهما فى نفس درجته الروحية ، أى أنه ليس وحده ٠٠ و هاتان كانتا من ال ٧٠٠٠ ركبة المخفية ٠٠

ما أصعب هذه الخطية ، أن يظن إنساناً أنه هو وحده الخادم الأمين ، هو وحده الذى يصلح للقيادة و الرئاسة ، و ليس غيره !

إن المحب يفرح بوجود كثيرين مثله ، أو حتى أفضل منه ٠٠ كما قال موسى " ياليت جميع شعب الله أنبياء " ٠٠ أما محب ذاته (فى أنانية) فإن هذا الأمر يتعبه ، أو على الأقل لا يفرحه ٠٠ ! يظنها منافسه له ، لأنه لا يهتم بما لله ، بل بما لنفسه ٠٠ !

[٥٧] الأحلام

١-هناك أحلام من الله

مثل الأحلام التى ظهرت ليوسف النجار ، و للمجوس ، قيل له فى حلم أن يأخذ الطفل و أمه و يمضى إلى مصر ٠ و قيل لهم فى حلم أن يرجعوا من طريق آخر ٠ و كذلك الأحلام التى رآها أو التى فسرها يوسف الصديق أو دانيال النبى : و كلها أحلام موجهة ، أو منبئة بشئ يحدث فى المستقبل ٠

٢-و هناك أحلام من الشياطين :

يخدعون بها الإنسان و يضللونه ، ليسير فى طريق خاطئ أو يزعجونه بأحلام معينة ٠ و قد ورد فصل طويل فى بستان الرهبان عن أمثال هذه الأحلام ٠

٣-و هناك أحلام من ترسيبات العقل الباطن :

فكل ما تراه ، و ما تسمعه ، و ما تقرؤه ، و ما تجمعه الحواس من كافة المصادر ، و ما يجمعه الفكر ٠٠ كل ذلك يترسب فى عقلك الباطن ، و يختزن هناك ٠٠ و يخرج و لو بعد سنوات ، فى هيئة أفكار أو ظنون و أحلام ٠٠

و هذا وضع طبيعى جداً

و قد يخرج هذا الرصيد من عقلك الباطن ، صور متغيرة .. قد تختلف الأسماء ، أو الأزمنة ، أو الأماكن ، أو بعض التفاصيل ، و لكنها تقدم معنى راسخاً فى داخلك ، كان يكمن كشريط تسجيل

٤-و هناك أحلام هى انعكاس لوضع جسدى :

كإنسان نام و هو مرهق ، يدق إلى جواره جرس منبه ليوقظه ، و هو لا يريد الإستيقاظ ، فيحلم بأنه جالس إلى جوار تليفون ، جرسه يدق .

و الإنسان الحكيم لا يسمح للأحلام بأن تقوده .

و لا يصدق كل حلم ، و لا يعتبر كل حلم صادراً من الله . لأنه لو عرفت الشياطين بأنه يصدق الأحلام ، تظهر له فى أحلام كاذبة ، لكى تضلله .

و الأحلام الشريرة لها أسباب كثيرة ..

بعضها جسدى ، و بعضها نفسى ، و بعضها حروب من الشياطين . و منه الأفضل أن الإنسان لا يعاود التفكير فيها حينما يستيقظ ، لئلا يكون تفكيره هذا سبباً فى تثبيتها ، و فى أحلام أخرى ..

[٥٨] الفكر الخاص

كثير من الناس يهوون نشر أفكارهم الخاصة ، و تقديم هذه الأفكار كمبادئ روحية للناس ، أو كعقائد يجب الإيمان بها ..

و كلما كانت هذه الأفكار جديدة و غير معروفة ، نريد هذا من سرورهم ، و يفرحون إذا عرفوا سيئاً جديداً يقدمونه للناس يجعلهم فى نظرهم من أهل العلم و المعرفة !

و كلما كان هذا الجديد مختلفاً تماماً عما يعرفه الناس و يعتقدونه ، نرى هؤلاء المفكرين يفرحون بالأكثر ، كما لو كانوا يحطمون مفاهيم عامة خاطئة ، لكى يقيموا على اساسها الجيد السليم ! ..

و هذا الأمر إذا طلم فى أى لون من ألوان المعرفة ، فهو لا يصلح فى العقيدة ، التى لا تحطم إيماناً قديماً تبنى على أنقاضه إيماناً جديداً

العقيدة كلما كان لها قدم ، كانت أكثر رسوخاً ..

و الجديد فى العقيدة قد يكون بدعة ، إذا ما كان يحطم إيماناً قديما مسلماً لنا من الآباء . لذلك فإن المعجبين بفكرهم الخاص ، يحاولون بكافة الطرق أن يبحثوا له عن اصول قديمة تسنده .. و إن لم يجدوها ، يختلقونها اختلافاً !

هؤلاء لا يقرأون أقوال الآباء ، لكى يفهموا فكرهم .. إنما يقرأون لكى يتصيدوا نصاً ، أى نص ، يسندهم ..

يقتطعون هذا النص اقتطاعاً ، فاصلين إياه عما قيل قبله ، و عما قيل بعده ، و عن المناسبة التى قيل فيها ، و عن الفكر العام للأب الذى أخذوا عنه .. و يتخذون هذا الإقتباس وسيلة لإثبات فكرهم . و قد توجد من كتابات القديس الذى نقلوا عنه ، أقوال تناقض ما ينسبونه إلية ..

إنهم لا يبحثون عن الحقيقة ، إنما يبحثون عن إثبات لفكرهم ، مهما كان هذا الإثبات مصطنعاً و مغلوطاً

أما أنت أيها المبارك، ففى أمور العقيدة ، لا تحاول أن تنشر فكراً خاصاً ، إنما أنشر عقيدة الكنيسة ..

و كل فكر جديد يصل إلى مفاهيمك ، لا تعرضه على الناس ، إنما اعرضه على المسئولين فى الكنيسة .. لإبداء رأيهم فيه ، قبل نشره .

إن التعليم فى الكنيسة ليس مجالاً لعرض الأفكار الشخصية ، إنما هو مجال للتعليم الواحد الذى يستمد أصوله من التقليد الرسولى ، بإيمان واحد للجميع ..

[٥٩] الهدوء

تحدث بطرس الرسول عن " الروح الوديع الهادئ ، الذى هو قدام الله كثير الثمن " (١بط ٣ : ٤) . و نصحنا بولس الرسول بهذا الهدوء ، فقال : " إحرصوا أن تكونوا هادئين " (١تس ٤ : ١١)

و الهدوء على أنواع كثيرة ، منها هدوء الأعصاب ..

الأعصاب التى لا تسرع إلى الغضب ، و لا تثور بسرعة ، و لا تحتد ، بل تعالج المشاكل فى هدوء ، و بالجواب اللين تصرف الغضب ، كما قال الحكيم .

قال الكتاب " أما الأشرار ، فكالبحر المضطرب ، لأنه لا يستطيع أن يهدأ ، و تقذف مياهه حمأة و طيناً . لا سلام قال الرب للأشرار " (أش ٥٧ : ٢٠) .

و من أنواع الهدوء أيضاً ، هدوء القلب ..

فقد يتحكم إنسان فى إنفعالاته الخارجية بينما يكون قلبه من الداخل فى ثورة . أما الهادئ الحقيقى ، فإنك تراه هادئا من الخارج ، و من الداخل أيضاً .

و هدوء الفكر ، يساعد عليه هدوء الحواس .

من أجل هذا سعى آباؤنا إلى حياة السكون ، شاعرين أنه بهدوء الجسد يقتنى هدوء النفس

ما أجمل قول الكتاب عن فائدة الهدوء : " لأنه هكذا قال الرب .. بالرجوع و السكون تخلصون ، بالهدوء و الطمأنينة تكون قوتكم " (أش ٣٠ : ١٥) .

ليتنا نحرص أن نحيا فى هدوء ، و نطلبه من الرب .

[٦٠] الوسيلة الطيبة

لا يكفى أن يكون العمل الذى نعمله خيراً فى أهدافه و إنما يجب أن تكون الوسيلة التى نعمله بها ، و سيلة خيرة و طيبة .

العنف مثلاً ، و الشدة الزائدة ، و القسوة ، ليست كلها وسائل طيبة للتربية ، أو للحصول على النظام أو الطاعة .

إنما كثيراً ما تكون وسائل منفرة ، و لا تصلح لكل أحد ٠ و يمكن أن يصل الإنسان إلى غرضه بغير عنف و بغير قسوة ، و بوسائل طيبة ٠٠

و الشتيمة أيضاً ليست وسيلة روحية للرد على من يخالفك فى الإيمان ، أو يخالفك فى الرأى ٠

إنك بهذا الوضع تخسر من تناقشه ٠ و إن كنت كاتباً أو مؤلفاً ، تخسر قارئيك أيضاً ٠ و الوضع السليم أن يكون الإنسان موضوعياً فى مناقشة الأمور الإيمانية و العقيدة ، بدون شتائم و إهانات ، لأنه " لا شتامون يدخلون ملكوت السموات " (١كو ٦ : ١٠)

و الهدم ، و الإنتقاد المر ، و محاولة تحطيم الآخرين ، ليست وسائل طيبة للتعبير عن الغيرة المقدسة ٠

فالغيرة يمكن التعبير عنها بوسيلة إيجابية بناءة ، تعالج الأمور فى روية ، و فى موضوعية ، و فى دراسة هادئة ، و تقديم حلول مقبولة ، و فى نفس الوقت فى محبة ٠ لأن الكتاب يقول " التصر كل أمور كم فى محبة " (١كو ١٦ : ١٤)

و الإنقسام ليس وسيلة طيبة للعمل الكنسى ، و لا حتى للعمل الإجتماعى أو الوطنى ٠

الإنقسام يسبب ضعفاً فى الصفوف ، و هو دليل على عدم التعاون ، و عدم القدرة على معاملة الرأى الآخر ، أو هو برهان على الفشل فى إقناع الطرف الآخر أو فى كسبه ٠ و الكتاب يقول " رابح النفوس حكيم " (أم ١١ : ٣٠) ٠ إن الحكيم يختار وسيلة طيبة لعمله الطيب ٠

لأن الوسيلة الخاطئة فيها تناقض مع العمل الطيب ٠

و العمل الطيب ، إذا كانت وسيلته غير طيبة ، يكون شركة من النور و الظلمة ، و خليطاً من البر و الخطيئة ، و لا يدل على أنه عمل روحى ٠ فلتكن وسالتنا طيبة و هادئة وروحية ، أو على الأقل فلتكن غير معثرة و لا خاطئة

[٦١] الفضائل الأمهات

هناك فضائل جزئية ، يتعب الإنسان جاهداً ، حتى يصل إليها و هناك فضائل أمهات ، تشمل العديد من الفضائل داخلها ، و عن هذه نريد أن نتكلم

فى مقدمة هذه الفضائل : المحبة ٠٠

و قد قال السيد المسيح عن هذه الفضيلة ، إنه بها يتعلق الناموس كله و الأنبياء ٠ و شرح بولس الرسول للعناصر العديدة التى تتضمنها فضيلة المحبة : فقال أنها تتأنى ، و تترفق ، و أنها لا تحسد ، و لا تتفاخر ، و لا تنتفخ ، و لا تقبح ، و لا تطلب ما لنفسها ، و لا تحتد ، و لا تظن السوء ، و لا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق ، و تحتمل كل شئ ، و تصدق كل شئ ، و ترجوا كل شئ ، يصبر على كل شئ ٠٠ و لا تسقط أبداً (١كو ١٣) فالذى يقتنى المحبة ، يقتنى كل هذه الفضائل ٠

وكل ما ذكره بولس الرسول هو من محبتنا للقريب ·· أما محبتنا لله ، فإنها تشمل و لا شك أموراً عديدة :

تشمل الصلاة بكل درجاتها ، التأمل ، و الهذيذ ، و قراءة الكتاب المقدس ، ومحبة الكنيسة ، و محبة الأسرار الكنسية ، و الإجتماعات الروحية ، و الصوم ، و المطانيات ·· كما تشمل أيضاً إطاعة جميع الوصايا ، لأن الرب يقول " من يحبنى يحفظ وصاياى" ··

و من الفضائل الأمهات أيضاً : حياة التسليم ··

و حياة التسليم معناها أن يسلم الإنسان حياته تسليماً كاملاً للروح القدس العامل فى قلبه ، ليدبر حياته ·· ومن هنا تظهر فى هذا الإنسان ثمار الروح التى شرحها بولس الرسول فى (غل ٥ : ٢٢) فقال : و أما ثمر الروح فهو محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ، إيمان ، وداعة ، تعفف ··

و من الفضائل الأمهات : فضيلة الإتضاع ··

و الإنسان المتضع ، يقتنى الوداعة ، و الهدوء ، و البعد عن الغضب ، و إدانة الآخرين ، و البعد عن القسوة ·· و يشمل الإتضاع إنسحاق القلب ، و لوم النفس ، و فضيلة الدموع ، و الحب ، و مباركة كل أحد ، وطلب بركة كل أحد ، و الإستماع أفضل من التكلم ، و عدم التعالى ، و عدم الإفتخار ، و عدم الحديث عن النفس ، و الرضا لكل شئ ، و القناعة ، و الشكر ، و البساطة ··

الذى يريد أن ينتفع ، يمكنه أن ينتفع من كل شئ ، و من كل شخص ، و من كل حدث ٠ إنه يستخرج الفائدة من كل ما يمر به

يستفيد من الصالح ، و يستفيد أيضاً من الشرير ··

من الشخص الصالح يأخذ قدوة صالحة ، و يأخذ حباً و معاملة طيبة و من الشخص الشرير ، يمكنه أن يقتنى فضائل الصبر و الإحتمال و المغفرة للمسيئين ·· كما يمكن تعلم الفضيلة من معرفة مضار و مساوئ الرذيلة التى تقابلها ·· قال أحد الحكماء : تعلمت الصمت من الثرثار ·· أى أنه من إدراك مساوئ الثرثرة ، أمكننى أن أعرف مدى فائدة الصمت فى إتقاء هذه الأخطاء ··

يمكننا أن نتعلم من ~أخطائنا ، و من أخطاء الآخرين ··

و الحكيم يعرف كيف يستفيد من الخطأ ، فلا يعود يقع فيه مرة أخرى ٠ و يأخذ من الأخطاء خبرة فى حياته ٠ و الإنسان الكثير الخبرات هو مصدر من مصادر المنفعة

الذى يريد أن ينتفع ، يمكنه أن ينتفع ليس من الأشخاص الذين يقابلهم فقط بل من الطبيعة أيضاً ٠

قال الحكيم : تعلم من النملة أيها الكسلان ٠ إنه لأمر جميل حقاً ، أن تكون النملة مصدراً من مصادر المنفعة بالنسبة إلينا ٠

و كما ننتفع من الطبيعة ، يمكننا الإنتفاع من الأحداث

سواء الأحداث التى تحدث لنا أو لغيرنا ، كلها دروس نافعة فى الحياة ، لمن يحب أن يعتبر

إن قصة الغنى الغبى ، كانت دروساً لكثيرين ٠٠ و كل قصص الكتاب أيضاً و أحداثه هى أيضاً دروس ، كذلك قصص و أحداث التاريخ ، كما قال الشاعر :
و من وعى التاريخ فى صدره ٠٠ أضاف أعماراً إلى عمره ٠

إن الإنتفاع ، ليس مصدره الوحيد الآباء الروحيين ٠

مادام القلب يبحث عن المنفعة ، فإن الله لابد أن يرسل هذه المنفعة بأنواع و طرق شتى ٠٠

يرمز الصليب إلى الألم ٠ و الصلبان الثلاثة ترمز إلى ثلاث حالات صليب المسيح يرمز إلى الألم من أجل البر ٠ و الصليبان الآخران يشيران إلى الألم بسبب الخطية كعقوبة ٠ و ينقسمان إلى نوعين ٠ نوع يتألم بسبب خطاياه ، فيتوب و يرجع ٠ و الآخر يتألم بسبب خطاياه ، و لكنه يشكو و يتذمر و يموت فى خطاياه ٠٠٠
والصليب الذى لأجل البر ، هو أيضاً على أنواع : منها صليب الحب و البذل ، مثل صليب المسيح ، الذى تحمل الألم لكى ينقذنا " و ليس حب أعظم من هذا ، أن يضع أحد نفسه عن أحبائه " ٠٠
وهناك صليب آخر فى العطاء ، و أعظم عطاء هو العطاء من العوز ، حيث تفضل غيرك على نفسك ، و تعتاز لكى يأخذ غيرك ، مثلما أعطت الأرملة من أعوازها ٠٠
و هناك أيضاً صليب الإحتمال : تحويل الخد الآخر ، و سير الميل الثانى ٠ ليس فقط أن يحتمل الإنسان إساءات الناس إليه ، بل أكثر من هذا أن يحسن إلى هؤلاء المسيئين ، بل أيضاً أن يحبهم ! ٠٠ من يستطيع هذا ؟ ٠٠ إنه صليب ٠٠
هناك صليب آخر فى الجهاد الروحى : فى انتصار الروح على الجسد ، فى احتمال متاعب و حروب العالم و الجسد و الشيطان ٠٠ فى صلب الجسد مع الأهواء ٠٠ فى الإنتصار على الذات ، فى الدخول من البابا الضيق ٠٠

و الصليب هو التألم لأجل البر ٠ هذا فقط المبتدئين ٠٠ أما للكاملين فيتحول الصليب إلى لذة و متعة ٠٠

نشعر بضيق البابا فى أول الطريق ٠ و لكننا بعد ذلك نجد لذة فى تنفيذ الوصية ، و نحبها ٠ و حينئذ لا يصير الطريق كرباً ٠٠ و الصليب الأول يصير متعة ٠٠
كان الإستشهاد صليباً ، ثم تحول إلى متعة ٠ و صار القديسون يشتهون الإستشهاد ، و يشتهون الموت ، و يفرحون به ٠٠ و التعب من أجل الرب اصبح لذة و متعة ، و الألم أيضاً ٠

و هكذا اعتبر الكتاب أن الألم هبة من الله ٠٠

" وهب لكم ، لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أن تتألموا لأجل إسمه " متى يصبح الصليب فى حياتنا متعة ؟

ليس الإيمان هو مجرد عقائد جامدة تحفظها عن ظهر قلب ، من علم اللاهوت و تعليم الكنيسة ، بل الإيمان هو بالحرى يقين داخلى عميق ، و ثقة كاملة بالله و صفاته و عمله إيماننا بالله ووجوده ورعايته و حفظه ، يعطينا سلاماً داخلياً ،وراحة فى القلب و الفكر ، و اطمئناناً بأن الله مادام موجوداً ، إذن فهو يهتم بنا أكثر مما نهتم بأنفسنا ، لذلك علينا أن نعيش فى هذا السلام و نثبت فيه ٠ و الإنسان المؤمن لا يقلق أبداً ، لأن القلق ضد الإيمان ضد الإيمان بمحبة الله و حفظه ورعايته ٠٠

و إذا آمن الإنسان بوجودة الله فى كل مكان ، يشعر فى داخله بقداسة أى مكان يوجد فيه لوجود الله ٠ و كما يشعر باطمئنان للوجود فى حضرة الله ، كذلك يشعر بأنه يلزمه التدقيق فى كل تصرفاته ، فالله ينظره و يسمعه و يشاهد كل أعماله

و فى كل خطية ، يقول الإنسان مع يوسف الصديق " كيف أخطئ و أفعل هذا الشر العظيم أما الله " ٠٠ و إيمان الإنسان بأن الله يقرأ أفكاره ، و يعرف خبايا قلبه ، وكل نياته و مشاعره ، هذا الإيمان يمنح الإنسان استحياء فى فكره و فى مشاعره ، خجلاً من الله الذى يفحص كل هذا ٠٠ و إيمان الإنسان بالحياة الأخرى ، و بيوم الدينونة الذى يعطى فيه حساباً عن كل أعماله و أفكاره و مشاعره و أقواله ٠ كل هذا يجعله يوقن بفناء العالم ، ووجوب الإستعداد لذلك اليوم الرهيب ، مع العمل من أجل الأبدية التى سيعيشها بعد الموت

و يضع هذا الفكر فى قلبه ، قائلاً مع داود " عرفنى يا رب نهايتى ، و مقدار أيامى كم هى ، لأعلم كيف أنا زائل " (مز ٣٩) ٠ إن الإيمان ليس مجرد إقتناع عقلى ، إنما هو عمل داخل القلب ، يقوده فى الحياة كلها ٠٠

و هو ليس لحظة معينة يقبل فيها الإنسان الله ، إنما هو عمل العمر كله ، الذى يعيشه المؤمن فى " الثقة بما يرجى ، و الإيقان بأمور لا ترى " ٠٠ لذلك فإن عبارة تعنى فى غالبية الحالات ، الحياة المسيحية كلها فيها من عقيدة و تصرف ٠٠

الصلاة فى معناها البسيط حديث مع الله ٠٠

و فى معناها الأعمق صلة بالله ٠٠

صلة حب ٠ صلة عاطفة ٠ قبل أن تكون كلاماً ، و الكلام بدون حب لا معنى له ٠

و لهذا يقول الرب معاتباً " لأن هذا الشعب قد اقترب إلى بفمه و أكرمنى بشفتيه و أما قلبه فأبعده عنى " (أش ٢٩ : ١٣) ٠

و لهذا كانت صلاة الأشرار غير مقبولة أمام الله ، بل و مكرهة للرب ، لأنها لا تصدر عن حب ، إلا إن كان شريراً منسحقاً يطلب التوبة كالعشار ٠

و قد قال الرب يصلون بغير نقاوة قلب " فحين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم و إن كثرتم الصلاة لا أسمع ٠ أيديكم ملانة دماً ٠٠ إغتسلوا تنقول ، إعزلوا شر أفعالكم من أما عينى ٠ كفوا عن فعل الشر " (أش ١ : ١٥ ، ١٦) ٠

الصلاة هى جسر يوصل بين الأرض و السماء ٠ شبهوها بسلم يعقوب الواصلة بين السماء و الأرض ٠ و الصلاة هى مفتاح السماء ، و هى لغة الملائكة و هى عملها ، و هى حياة الروحيين ٠ و الصلاة هى اشتياق النفس للوجود مع الله ٠هى اشتياق المحدود إلى غير المحدود ، و اشتياق المخلوق إلى خالقه ، اشتياق الروح إلى مصدرها و إلى شبعها ٠٠ فى الصلاة يرتفع الإنسان يرتفع الإنسان عن مستوى المادة لكى يلتقى مع الله

مقياس نجاح الصلاة ، أنه كلما تود أن تتركو تنتهى لا تستطيع ٠ بعكس الإنسان الذى يفرح أنه ختم الصلاة و قال آمين ٠

الإنسان الناجح فى صلاته لا يستطيع أن يتركها ، بل ينشد أمام الملائكة أغنيته المحبوبة " أمسكته و لم أرخه " (نش ٣ : ٤) ٠

من ينجح فى الصلاة ، لا يفضل عليها عملاً آخر أيا كان ٠ من أجلها هرب القديسون من العالم و الأشياء التى فى العالم ٠ و بحثوا عن الهدوء و السكون و أحبوه بكل قلوبهم ينفردوا بالله ٠ و الصلاة تعلق بها الإنسان بها الإنسان تصير الصلاة له حياة ٠ و تصير حياته صلاة ٠٠ هناك قديس نكتب سيرته الكاملة (سير حياته) فى كلمة واحدة و نقول " كانت حياته صلاة " صلاة دائمة غير منقطعة ، صلاة لم يمر وقت تنقطع فيه و لو لحظة يقول فيها العازف سلاه ٠٠ حتى فى نومه لا ينقطع حديثه مع الله ، بالعقل الباطن و فى اللاوعى ، أترى هذا تفسير العبارة " كنت أذكرك على فراشى " ؟ ٠٠

[٦٦] حياة البذل

كل ما يطلبه الله منك هو قبلك " يا أبنى أعطنى قلبك " ٠٠ و هو عندما يطلب قلبك ، إنما يطلب حبك ٠ و دليل الحب هو البذل ٠

ومن هنا كانت الحياة الروحية هى حياة البذل ، بذل كل شئ حتى الحياة ذاتها ٠

و مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ ٠ لابد أن تترك شيئاً من أجل الله ، لتثبت محبتك لله ٠ و يعتبر حبك عظيماً كلما عظم ما تتركه لأجله ٠

أنظر إلى إبراهيم أب الآباء ، كيف بدأ علاقته مع الله ؟ ٠٠ بدأها بقول الرب له " أخرج من أرضك ، و من عشيرتك ، و من بيت أبيك ، إلى الأرض التى أريك " (تك ١٢) ٠

و من أجل الله ترك بيت أبيه و أسرته ووطنه ٠ فهل أكتفى الله بهذا ؟ كلا لقد قال له حتى فى أرض غربته " خذ إبنك وحيدك ، الذى تحبه إسحق ٠ و أصعده هناك محرقة " ٠٠ و أطاع إبراهيم و ذهب ليقدم إبنه ٠٠ موسى أيضا ، من أجل الله ترك الأمارة ، و القصر الملكى ، و الغنى و السيطرة " حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر " (عب ١١ : ٢٦) ٠

و الرسل قالوا للسيد المسيح " تركنا كل شئ و تبعناك " ٠٠ و قال بولس الرسول " من أجله خسرت كل الأشياء و أنا أحسبها نفاية ، لكى أربح المسيح " (فى ٣ : ٨) ٠

و البذل يصل إلى قمته عندما تبذل كل شئ : كالأرملة التى دفعت الفلسين ، و الأرملة التى أعطت كل طعامها فى المجاعة لإيليا النبى ٠٠ " بع كل مالك ، وتعال أتبعنى ، حاملاً الصليب " **الله نفسه أعطانا مثال البذل** " هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل إبنه الوحيد " ، " ليس لأحد حب أعظم من هذا : أن يضع أحد نفسه من أجل أحبائه " (يو ١٥ : ١٣) ٠

و الشهداء بذلوا دواتهم " و لم يحبوا حياتهم حتى الموت ، من أجل محبتهم للسيد المسيح

و أنت أيها العزيز ٠٠ ماذا بذلت من أجل المسيح ، الذى من أجلك أخلى ذاته ، و أخذ شكل العبد ، و مات على الصليب ؟ لست أطلب منك الآن أن تبذل من أجله الحياة كالشهداء (فلهذا الأمر زمان خاص) و إنما **أهم شئ تتركه من أجله هو أن تترك خطاياك المحبوبة ٠**

[٦٧] التكامل فى الفضيلة

الحرفية فى الفضائل تتلفها ٠٠

و الحكمة فى الفضيلى تعطيها معنى قوياً عملياً ٠٠ **مثال ذلك فضيلة طول الأناة و الصبر ٠** " بصبركم تقتنون أنفسكم " هكذا قال الكتاب (لو ٢١ : ١٩) و يمكن بالوقت أن تدرك حلول أمور كثيرة ، و قد تكون العجلة و التسرع حرباً من الشيطان ، و التسرع ايضاً يورث القلق و الإضطراب ٠

و مع ذلك فهناك أمور تحتاج إلى بت سريع ٠٠

و بدون سرعة قد ينتهى الأمر كارثة أو ضياع ٠٠ كإفتقاد ، و إنقاذ الخطاة ، و نقل إنسان من مكان معثر ، و حل مشكلة زوجية قبل أن تتفاقم و تصل إلى القضاء ، و معاقبة مخطئ قبل أن يتحول الخطأ فيه إلى عادة ، وقبل أن يصير خطراً على غيره ، و يتجبر فى انحرافه ٠٠ كل ذلك يحتاج إلى سرعة ٠ و التوبة أيضاً لا يصلح لها الصبر و الإنتظار ٠٠ إن فضيلة الصبر و طول الأناة وحدها ، لا تفيد بدون الحكمة ، فحرفية الفضيلة لا تصلح ٠٠

كذلك ما أكثر الأخطاء التى نقع فيها ، إن أخذنا فضيلة الوداعة و الهدوء مستقلة عن الحكمة ، و مستقلة عن الحكمة ، و مستقلة عن مراعاة الظروف المحيطة ٠٠

فهناك مواقف من الغيرة المقدسة ، لا يصلح لها الحلم مجرداً ، و لا الوداعة مجردة ، و إنما لهذه الفضيلة شئ من الغضب المقدس ٠ و لكن هذا الغضب يجب أن يكون مندمجاً مع الطهارة و نقاوة القلب ، بحيث ينطبق عليه قول الكتاب " إغضبوا و لا تخطئوا " (مز ٤) ٠

لهذا كله يجب أن يوجد تكامل بين الفضيلة ، و لا يصح أن تسير الفضائل فرادى ٠

الغيرة تكمل الوادعة ، و الوداعة تكمل الغيرة ٠طول الأناة تكمل الحكمة ، و الحكمة تكمل طول الأناة ٠ مثلما تتكلم عن صفات الله ، فتقول : الله عادل فى رحمته ، ورحيم فى عدله عدل الله مملوء رحمة ، ورحمة الله مملوءة عدلاً

فى الله يوجد كمال ، و فى البشر يوجد تكامل ٠

أعياد القديسين مجال لتجمعات ضخمة من المؤمنين ، تطلب شفاعة أولئك القديسين ،

فى ملء الإيمان :

الإيمان بدالة القديسين عند الله ، و بقبول الله لصلواتهم و شفاعتهم ٠ و الإيمان بخلود الروح ، و عملها بعد الموت ، و الصلة الدائمة بين الكنيسة على الأرض و أرواح القديسين الذين انتقلوا ٠

و كثيراً ما تحدث معجزات فى هذه الأعياد نتيجة إيمان الناس ، و منح الرب لهم سؤل قلوبهم حسب إيمانهم ٠ و كم كان الأجدر بنا تسجيل كل المعجزات التى تحدث فى أعياد القديسين ، تسجيلاً يقوى إيمان الجميع ، و يريهم أن عهد المعجزات لم ينته ابداً ، و لم يقتصر على العصور الأولى ٠٠

و قد انتفعت الكنيسة من هذه التجمعات الضخمة فى أعياد القديسين ، لأقامة نهضات روحية ، و برامج نافعة لتعميق الإيمان ، و قيادة الناس فى حياة الروح ٠ فقضت على كل أنواع الملاهى و العبث ، و أقامت القداسات اليومية ، و نظمت إذاعة داخلية فى عيد كل قديس ، تذيع التراتيل و الألحان و العظات و التعاليم الروحية فى نواحى الحياة المختلفة ٠٠

مع تنويع البرامج الروحية ، لتشمل ما يهم العائلات ، و الأطفال ، و الشبان ، و السيدات ، و العمال ٠٠

و توسيع الإستفادة من الوسائل السمعية و البصرية فى عرض الأفلام الدينية المشوقة ، و الشرائح بالفانوس السحرى و ما يستلزم ذلك من بناء القاعات اللازمة لهذا الغرض ٠٠

و كذلك توزع النبذات و المطبوعات النافعة للناس ، و عرض الهدايا التذكارية من صلبان و أيقونات وصور ٠

وأصبح الناس يقضون فترات روحية مركزة خلال هذه الأعياد يخرجون منها بحصيلة روحية كبيرة ٠

و أعياد القديسين بركة كبيرة ، و بخاصة بعد اهتمام الآباء لأساقفة بها ، فى الكنائس الأثرية التى يقصدها شعبنا ، و يشعر بقدسيتها و تأثيرها الروحى ٠

قال السيد المسيح " أبى يعمل حتى الآن ، و أنا أيضاً أعمل " و نود أن نركز على العبارة الأخيرة ٠٠ و قال بولس الرسول عن نفسه و عن زميله أبولس " فإننا نحن عاملان مع الله " (١كو ٣ : ٩) ٠

إن الله يمكنه أن يعمل كل شئ وحده ٠ و لكنه لا يشاء ، إنه يريدك أن تعمل معه ٠

و ليس أن تعمل فقط ، بل ايضاً يريدك أن تتعب فى العمل ، مجاهداً ، و هو سيعطى كل واحد أجرته بحسب تعبه (١كو ٣ : ٨)

و عمل الله ، ليس معناه أن يكسل البشر ..

و هوذا الرب فى سفر الرؤيا يطوب ملاك كنيسة أفسس على عمله و تعبه ، فيقول له : أنا عارف أعمالك ، و تعبك ، و صبرك ، و قد احتملت ، و لك صبر ، و تعبت من أجل إسمى و لم تكل " (رؤ ٢ : ٢ ، ٣) .

و العمل – بالنسبة إلى الروحانيين – هو شركة مع الله ، شركة مع الروح القدس ، شركة مع الطبيعة الإلهية فى العمل .. إنه استعداد الإرادة للشركة مع الله بل اشتراكها فعلاً .. لهذا نحن نقول للرب فى أوشية المسافرين " إشترك فى العمل مع عبيدك " .

و ليس الإعتماد على الله لوناً من التواكل ز اللامبالاة ، إنما هو شركة فى العمل ، معتمدة على قوة الله . و بالعمل يختبر الله مدى محبتنا له ، و مدى طاعتنا .

و المحبة كما قال القديس يوحنا الرسول " لا تكون بالكلام و لا باللسان ، بل بالعمل و الحق " (١يو ٣ : ١٨) إن داود النبى مع إيمانه بأن " الحرب للرب " ، و إيمانه بأن الله سيعمل ، و إلا أنه أخذ مقلاعه و حصواته ، تقدم إلى الصف ، أمام جليات .. لذلك إعمل ، وطلب من الله أن يشترك معك فى العمل . و حذار أن تكسل ، فإن الله لا يحب الكسالى ..

عليك أن تغرس و أن تسقى ، و الله هو الذى ينمى ..

حقا تقول فى أتضاع " ليس الغارس شيئاً ، و لا الساقى شيئاً .. و لكن الله الذى ينمى ما تغرسه و ما تسقيه و ما تتعب فيه ..

هناك نوع من الناس ، يندفع فى طريق ، لا يغيره مهما حدث من متغيرات فى الخارج !

يثبت عليه فى عناد و إصرار ، مهما ثبت له أنه طريق خاطئ ، و لا يؤدى إلى نتيجة !

يظن أن الكرامة فى الثبات ، حتى على الخطأ ، كما فعل هيرودس فى قتل يوحنا المعمدان !

و يظن أن تغيير الطريق نوع من التراجع ، لا يتفق مع القوة ، و لا يتفق مع الصلابة !

إنه لون من العناد ، هذا الذى يسلك فيه البعض ، و لا يغيرون طريقهم مع وضوح ضرره عليهم و على غيرهم ممن يسيرون فى ركابهم . و قد يستمر البعض سنوات فى مسلكه و قد تكون خصومة أو قضية ، و تستمر سنوات .. أو تكون مسألة علاقات ، و يستمر البعض فيها مهما بدا أن هذه العلاقات لا تنتهى بخير .. أما أنت فراجع طريقك بين الحين و الآخر .. **لا مانع من إعادة تقييم الموقف و ظروفه و ملابساته ، و ما يتوقعه الإنسان من نتائج ، و يرى ما يلزم من تصرف ، يناسب الآن ، و ليس الماضى الذى عاش فيه ..**

إن مراجعة الطريق فيها حكمة .. فليس المهم الثبات فى طريق معين ، إنما المهم أن هذا الطريق يوصل الى الخير المرجو

الطريق هو مجرد وسيلة . أما الهدف فهو الغاية ..

إهتم إذن بالهدف و الغاية ، و اختر لهدفك فى كل حين ما يناسبه من طرق .. كثيرون ضيعوا حياتهم بسبب التشبث و العناد .. و البعض ضيعوا كثيرين معهم ، بنفس الأسلوب

و غالباً عاش هؤلاء وأولئك بدون إرشاد ٠٠ إعتمدوا علـى فكـرهم ، أو بـالحرى علـى إنفعالاتهم ، فضيعوا الحياة بلا فائدة ، و بغير حكمة ٠٠

كل إنسان معرض للخطأ ، و لكن الإنسان الحكيم يستفيد من أخطائه : يستفيد خبرة روحية ، و معرفة ، و حرصاً حتى لا تخطئ فى المستقبل ٠ و فى هذا قال أحد الآباء " " لا أذكر أن الشياطين أطغونى فى خطية واحدة مرتين " ٠٠

و الإنسان الروحى يقتنى من أخطائه تواضعاً ٠٠

فيعرف و يتأكد أنه إنسان ضعيف ، معرض للخطأ مثل باقى الناس ، و معرض للسـقوط ٠ فلا يتكبر و لا يتعجرف و لا يظن فى نفسه أنه شئ ٠ و كما قال بولس الرسول " إذن مـن يظن أنه قائم ، فلينظر لئلا يسقط " (١كو ١٠ : ١٢) ٠ الجاهل إذا أخطأ ، قد يضـعف و يستمر فى خطئه ، و يتعود السقوط ، و قد ييأس و يتملكه الحزن و ينهار ٠

أما الحكيم ، فإنه بخطيئته يتفهم حيل الشياطين و حروبهم ،

و مداخلهم إلى النفس البشرية ، فيحتاط ، و يكون أكثر تدقيقاً ٠ و قد يساعده هـذا علـى إرشاد غيره ، إذ يكون أكثر دراية بالطريق ٠٠

و الإنسان الروحى يستفيد من أخطائه إشفاقاً على الآخرين ،

كما قال الرسول " أذكروا المقيدين ، كأنكم مقيدون ، كـأنكم مقيـدون معهـم ٠ و اذكـروا المذلين كأنكم أنت أيضاً فى الجسد " (عب ١٣ : ٣)

و لهذا فإن الروحى إذا سقط ، يكون أكثر عطفاً على غيره ، لا أكثر إدانه و توبيخـاً لأنـه يعرف بنفسه مدى قوة الشياطين ، و ضعف النفس البشرية ٠

و الإنسان الروحى يستفيد من أخطائه تدرباً على الصلاة ، من أجل نفسه و من أجل غيره ، لأنه يوقن تماماً أن نصره الإنسان لا تعتمد على قوته و مهارته ، إنما على معونة الله الذى يقودنا فى موكب نصرته ، لذلك هو دائما يلتصق بالصـلاة ، و يقـول للـرب " " إسـندنى فأخلص " ٠٠ حارب عنى ٠٠

إن الإنسان الباحث عن المنفعة ، كما ينتفع من أخطائه ، ينتفع أيضاً من أخطاء غيره ٠٠

و لهذا سمح الله فى كتاب المقدس أن يذكر لنا أخطاء البعض ، حتى الأنبياء و الصديقين ، لكى ننتفع من أخطائهم ٠٠ إن الله الذى " يخرج من الجافى حلاوة " ، هو أيضـاً قـادر أن يعطينا من كل خطية درساً نافع الخلاص أنفسنا ٠٠ و هكذا نستفيد من كل أحد نقابله فـى حياتنا : من بر الأبرار نستفيد قدوة ، و من خطيتنا و خطايا غيرنا نستفيد خبرة و حرصاً

من صفات الحياة الروحية دوام النمو ..

يبدأ الإنسان علاقته مع الله بالتوبة ، ثم ينمو من مخافة الرب حتى يصل إلى محبته ، ثم ينمو فى الحب حتى يصل إلى القداسة ، كما قال الكتاب " كونوا أنتم أيضاً قديسين ، فى كل سيرة . لأنه مكتوب : كونوا قديسين لأنى أنا قدوس " (١بط ١ : ١٥ ، ١٦) .

و هل يقف الإنسان عند حد الوصول إلى القداسة ؟ كلا ، و إنما يسعى حتى يصل إلى الكمال

كما قال الكتاب " كونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السموات هو كامل " (مت ٥ : ٤٨) .و الذى يسعى فى طريق الكمال ، لا يدرك له نهاية ، مهما نما و مهما أرتفع . فالكمال لا حدود له ..

و هناك درجات فى الكمال كل واحدة أعلى من غيرها ..

هوذا بولس الرسول كان قديساً ، و قد صعد إلى السماء الثالثة ، و صنع آيات و عجائب ، و مع ذلك نراه يقول : " لست أنى قد نلت ، و أصرت كاملاً ، و لكنى أسعى لعلى أدرك .. أنا لست أحسب نفسى أنى أدركت ، و لكنى أفعل شيئاً ، إذ أنا أنسى ما هو وراء و أمتد إلى قدام " (فى ٣ : ١٢ ، ١٣) . و يختم الرسول قوله عن هذا النمو " فليفتكر هذا جميع الكاملين منا " ..

إذن حتى بالنسبة إلى الكاملين ، ينبغى هم أيضاً أن " يمتدوا إلى قدام " ..

و لقد شبه الرب المؤمن بحبة حنطة ، تصير نباتاً ، و ينمو ، فقال " و البذار يطلع و ينمو ، و هو لا يعلم كيف . لأن الأرض من ذاتها تأتى بنمو ، أولاً نباتاً ، ثم سنبلاً ، ثم قمحاً ملآن فى السنبل " (مر ٤ : ٢٧ ، ٢٨) .

فهل أنت مثل النبات ، دائم النمو ، أولاً نباتاً ، ثم سنبلاً ، ثم قمحاً ملآن فى السنبل ؟ ..

حاول أن تنمو ، فالنمو يعطى حرارة دائمة ، ووقوف النمو يوقف الحرارة فى القلب ،

فيفتر الإنسان .

و إن لم تستطع أن تنمو ، على الأقل قف حيث أنت . و لكن إحذر ترجع إلى الوراء .

إنسان بدلاً من أن يفكر فى نتائج عمله قبل أن يقدم على عمله ، تراه يعمل دون تفكير فى العواقب . ثم بعد أن يعمل ، يبدأ فى أن يفكر فى نتائج عمله ، بعد أن فاتت الفرصة . إنه التفكير الخاطئ المتأخر .. إنسان آخر ينذر نذراً ، دون يفكر قبل النذر هل باستطاعته الوفاء به أم لا .. ثم بعد أن يتم النذر يبدأ أن يفكر .. و يحاول أن يغير أو يبدل ، و أو يعلن عجزه .. إنه تفكير متأخر ، يحدث بعد وقته المناسب .

و إمرأة تضيع زوجها ، بنوع من المعاملات يفقدها محبته ، أو طاعة لنصيحة خاطئة من أحد أقربائها . و ترفض كل التدخلات للصلح . و بعد أن يكرهها زوجها و لا يعود يتصور

المعيشة معها ، حينئذ تبدأ تفكر فى أن فقدها لزوجها و لا يعود يتصور المعيشة معها ، حينئذ تبدأ تفكر فى أن فقدها لزوجها ليس من صالحها ٠٠ و لكنه تفكير متأخر يأتى بعد فوات الفرصة ٠ و أب لا يربى إبنه تربية حسنة ، و يظن أن التدليل هو دليل الحب و يشب الولد على عدم الطاعة ، و على الإستهتار و اللامبالاة ، و ترشخ فيه هذه الأخطاء كطباع ، و يصبح مرارة قلب لأبيه و أمه و أخوته و لكل المتصلين به ٠ و هنا يفكر الأب فى تغيير اسلوبه و استخدام الحزم معه ٠٠ بعد فوات الفرصة ٠٠ و يفشل الأب ، لأن تفكيره جاء متأخراً ٠

لا يكفى أن يكون للإنسان فكر صالح ، إنما يجب أيضاً أن يكون هذا الفكر متيقظاً من بدء الطريق ، و لا يأتى بعد فوات الفرصة ٠٠

لقد رجعت العذارى الجاهلات بمصابيحهن إلى الرب ، و لكن بعد أن أغلق الباب ٠٠ و لم يدخلن ٠ و قد قامت عذارء النشيد لتفتح الباب لحبيبها ، ولكن بعد أن تحول و عبر ٠٠ لذلك قالت " نفسى خرجت حينما أدبر ، طلبته فما وجدته ، دعوته فما أجابنى " ٠كثيرون جاء تفكيرها متأخراً ، فلم يستفيدوا ، و عاشوا فى ندم دائم و حسرة ٠٠ مثلما حدث لعيسو الذى " طلب التوبة بدموع ، و لم تعط له لأنه جاء بعد أن أنتقلت البكورية و البركة إلى يعقوب ، أنتهى الأمر ٠

ما أجمل قول المزمور " أنا أستيقظ مبكراً " ٠ حقاً " الذين يبكرون إلى يجدوننى يبكرون فى الفكر ٠

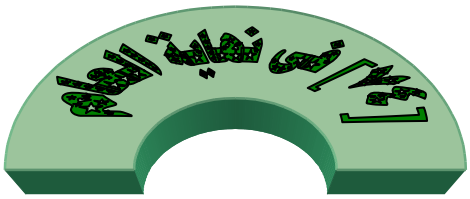

لا نريد أن يفاجئك العام الجديد دون أن تستعد لهذه البداية ٠ و إنما ننبهك إلى هذا الموضوع من الآن ، لكى تستعد ٠٠

***إجلس أولاً مع نفسك ، لكى تعرف حقيقتها ٠٠**

ليس فقط لتعرف أخطاءها ، و إنما بالأكثر لتعرف نقط الضعف الأصلية التى فيها ٠٠ و أسبابها ، و مقوماتها ٠٠

و من واقع هذه الجلسة من نفسك ، أعدد نفسك للإعتراف ، و بخاصة الإعتراف العميق ، الذى يتناول الكليات فى حياتك أكثر من الجزئيات ٠٠ الأصول أكثر من الفروع ٠٠

*و فى نهاية العام ، إدرس ما ينبغى لك ليكون عاماً مقدساً فى كل شئ ، و لكى تقول العبارة الجميلة التى فى مقدمة صلاة باكر فى الأجبية : لنبدأ بدءاً حسناً ٠٠

***أنظر إلى سمات الحياة المسيحية ، الأساسية ، و ليس إلى الفرعيات فى تفاصيل الحياة اليومية :**

ما مركز محبة الله فى حياتك ؟
ما مركز الإيمان ؟ الوداعة ؟ التواضع ؟ الرجاء ؟
ما مدى عمق علاقتك بالله ؟
أدخل إلى العمق ٠ لا تكن سطيحاً فى روحياتك و لا تكن سطيحاً فى محاسبتك لنفسك ٠

*بل أنظر إلى حياتك كلها ، ومدى تطورها ..
ما مسير الخط الروحى فى حياتك ؟ هل أنت سائر فى خط واضح ثابت ، تتقدم فيه و تنمو ، يوماً بعد يوم ؟ أم هناك تغير ، و تحول ، و انحراف عن المسيرة المقدسة ، و أشياء جديدة دخلت إليك ما كان يجب أن تدخل ؟!
*ونصيحة أساسية ، أقولها لك لتجلس هى ايضاً معك فى جلستك مع نفسك و مع الله :
كن صريحاً مع نفسك إلى أبعد حد .. و حاذر من أن تبرر نفسك ، أو أن تضع لها أعذاراً
و تلقى بالملامة على غيرك أو على الظروف ! إن الله سوف لا يسألك من اليوم الأخير عن الظروف أو عن الغير ، إنما سيسألك عن نفسك ..
فادخل إذن إلى نفسك ، نفسك و ليس سواها .

[٧٥]الأمين فى القليل

كن أميناً فى القليل ، يقيمك الله على الكثير ..
كن أميناً فى الشئ الذى تستطيعه ، حينئذ يقيمك الله على ما لا تستطيعه ..
كن أميناً على ضبط أفكارك فى حالة الصحو .. و حينما يرى الله أمانتك ، يقيمك على الأحلام التى تأتيك بغير إرادتك و ليس لك تحكم فيها ..
كن أميناً على الوزنة الواحدة ، فيعطيك الله العشر وزنات ، أو أجر من أقيم على العشر وزنات .
كن أميناً من جهة الحروب التى تحاربك من الخارج ، حينئذ يقيمك الله على ينابيع التأملات و الروحيات التى تنبع فى فكرك و قلبك من الداخل .
كن أميناً من جهة إخلاصك لليئة ، يقيمك الله على راحيل . تشفق على إبن هاجر ، يعطيك الرب إبناً لسارة . تخلص فى برية سيناء ، حينئذ يدخلك إلى كنعان
تكون أميناً فى بيت فوطيفار ، فيقيمك الله على قصر فرعون ، و على كل خزائن مصر ..
تكون أميناً فى قصر أرتحشستا ، يقيمك الله على بناء هيكله فى أورشليم ..
إن كنت أميناً لله فى الأشياء التى ترى ، يقيمك الله على ما لا يرى . على ما لم تسمع به أذن و ما لم يخطر على قلب بشر ..
إن الله يريد أن يختبر أمانتك ، بأى شئ ، ربما بوصية بسيطة ، بثمرة واحدة تمتنع عنها
فإن كنت أميناً بالنسبة إلى شجرة المعرفة ، حينئذ يقيمك الله على شجرة الحياة ، و على المن المخفى . لا تستصغر القليل الذى معك ، و إنما إلى أمانتك فيه .. و حسب أمانتك ، سيعطيك الله ..
كان أنبا ابرآم أسقف الفيوم أميناً فى عمل الرحمة ، على ما فى يدية من أموال ، فأقامه الرب على رحمة أوسع ، و هى شفاء المرضى و إخراج

[٧٦] الحقيقة كلها

قد يفرحك الحديث عن محبة الله ، و يتعبك الحديث عن عدله ٠ و لكن ينبغى أن توضع أمامك الحقيقة كلها ٠ لأن هذا هو الحق الإلهي ٠٠ الذى لا يفصل عدل الله عن محبته ،

فعدل الله عدل رحيم ، و رحمة الله رحمة عادل ٠ عدل الله مملوء رحمة ، ورحمة الله مملوءة عدلاً ٠٠ الإثنان معاً ، هما الحقيقة كلها ، كاملة ٠٠ و نحن لا نسلك فى الروحيات ، بطريقة أنصاف الحقائق ٠ و نحن لا نسلك فى الروحيات ، بطريقة أنصاف الحقائق ٠

قد تفرح لمقالات عن الرجاء ، و لا تستريح لمقالات عن الصلاح و النقاوة و الوصية و الواجب المطلوب منك!

و لكنك مهما هربت من الحديث عن النقاوة ، فأنت مطالب بها ، سمعت أو لم تسمع ٠ فيجب أن تضع الحقيقة كلها أمام عينيك ٠ و تفرح بوصية الله كما فرح بها داود ، ووجدها مضيئة تنير العينين يجب أن تعرف الحق كله ، و تضعه كله أمام عينيك ، ما يعزيك و ما يبكيك ٠٠ تضع أمامك الوصية مهما كانت صعبة فى نظرك ، و ليست نعمة الله العاملة فيك ، لكى تنفذ الوصية ٠ و أيضاً السيد المسيح سار معنا بطريقة الحقيقة الكاملة ٠ قال لنا " فى العالم سيكون لكم ضيق" هذه نصف الحقيقة ، و بعدها النصف الآخر " ثقوا ، أنا قد غلبت العالم " ٠ لذلك نحن لا نهرب من عبارة " يكون لكم ضيق " ، لكى نتعزى بتركها ! ٠ كلا ، بل نذكرها ، مهما كانت صعبة ٠٠ و نذكر معها نصفها الآخر " ثقوا ، أنا قد غلبت العالم "

عمل الروح القدس – على أهميته – هو نصف الحقيقة ٠ و النصف الآخر هو أن نشترك معه فى العمل ٠

نصف الحقيقة هو الخلاص العظيم الذى قدمه المسيح ٠ و النصف الآخر هو كيف ننال هذا الخلاص ٠

نصف الحقيقة إنك إبن الله ٠٠ و النصف الآخر أن المولود من الله لا يخطئ ٠

هذه هى الحقيقة الكاملة

[٧٧] كيف تعترف

ليس الإعتراف هو أن تجلس لكى تحكى حكايات ٠

و قد يمر عليك وقت طويل تسرد فيه قصصك مع الناس ، دون أن تذكر ما قد أخطأت فيه !

إنما الإعتراف هو أن تدين نفسك ٠٠

تدينها أمام الله ، فى سمع الأب الكاهن ٠٠ تقول : أنا أخطأت فى كذا و كذا ، فى ما قلت ٠

إنما الإعتراف هو أن تجلس لتشكو غيرك ، و تشرح أخطاء الناس إليك • إنما أن تجلس لتشكو نفسك ••

و بالتالى ، ليس الإعتراف هو أن تجلس إلى أب الإعتراف ، لكى تلومه ، و تعاتبه على تقصيره من نحوك ، تقصيره فى أفتقادك ، و فى إرشادك ، وعدم تتبع حالتك ، و عدم السؤال عنك ، وعدم إعطائك تداريب •• و فى كل ذلك لا تدين نفسك ، و لا تذكر أخطاءك •• إنما تدين أب اعترافك

و ليس الإعتراف ، هو مجرد التخلص من الخطايا قديمة ، لارتكاب خطايا جديدة فى مكانها ، دون تغير حالتك ! **إنما الإعتراف هو توبة • و يسمى سر التوبة •**

و ليس الإعتراف هو أن تأتى و فى قلبك تصميم على شئ معين ، تطلب من أب الإعتراف أن يوافقك عليه ، و إن لم يوافقك تغضب و تخزن و تبكى ، و تلح و تكثر الإلحاح ، لكى تحصل على هذه الموافقة ، مدعياً أنك لا تسلك بمشيئتك ، إنما بإرشاد أب الإعتراف !!

الإعتراف هو أن تشرح حالتك ، و تطلب الإرشاد بإتضاع

و ليس الإعتراف هو مجرد جلوسك مع الأب الكاهن ، فى أى مكان ، و لوجلسه ودية ، لكى تحكى له ، و تدعه يفهم بذكائه أين يوجد الخطأ ! ••

إنما الإعتراف سر مقدس ، له خشوعه ، تشعر فيه أنك نادم ، تعترف لله نفسه بخطاياك ، فى سمع الكاهن •

الإعتراف هو أن تجلس إلى نفسك أولاً ، تفحصها و تعرف خطاياها و ضعفاتها ، و تبكتها على كل ذلك ، و تصمم على حياة فاضلة ، طالباً من الله معونة فى ذلك ••

ثم تأتى إلى أب الأعتراف ، بقلب منسحق ، تذكر له ما قد أخطأت فيه ، طالباً المغفرة و الصفح ، و طالباً الإرشاد و النصح و الصلاة من أجلك ••

[٧٨] تأملات فى الفطاس

آدم أخطأ ، و لم يطلب التوبة ، و لا سعى إليها •• و إذا بالسيد المسيح ، القدوس الذى هو وحده بلا خطية ، يقف أمام المعمدان ، كتائب ، نائباً عن آدم و ذريته ، مقدماً عنهم جميعاً معمودية توبة فى أسمى صورها •

حمل خطاياهم ، ليس فقط أثناء صلبه ، و إنما فى حياته أيضاً كإبن للبشر • و لذلك سر الآب به و قال : " هذا هو إبنى الحبيب الذى به سررت " ••

إن الله لا يسر بتبر الإنسان لذاته ، و بأن يلتمس لنفسه الأعذار كما فعل آدم و حواء ، اللذين بدلاً من أن يدينا نفسيهما أمام الله ، أخذ كل منهما يلقى بالذنب على غيره •

أما السيد المسيح ، فلم يلق ذنباً على غيره ، و إنما أخذ ذنب الغير ، و حمله نيابة عنه ، و قدم عنه معمودية توبة ، و أفرح بكل هذا قلب الآب ، فقال : " هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت " •

الذى بلا خطية ، صار حامل خطية ، من أجلنا ••

لم يخجل من أن يتقدم وسط صفوف الخطاة ، ليطلب العماد من يد عبده يوحنا ٠ و لما استحى منه هذا النبى العظيم ، أجابه فى وداعة " إسمح الآن ٠
لأنه يليق بنا أن نكمل كل بر " ٠٠ و أعطانا بهذا درساً عملياً فى حياتنا ٠

و أعطانا درساً أن نحمل خطايا الغير ٠٠

و أن ندفع الثمن نيابة عنهم ، بكل رضى ٠٠ و أن لا نقف مبررين لذواتنا ، مهما كنا أبرياء ٠٠ و أننا بهذا نكمل كل بر ٠٠ أتراك تستطيع أن تدرب نفسك على هذه الفضيلة ؟
إن القديس يوحنا ذهبى الفم يقول :

إن لم تستطع أن تحمل خطايا غيرك و تنسبها إلى نفسك ، فعلى الأقل لا تجلس و تدين غيرك و تحمله خطاياك ٠٠

إن لم نستطع أن نحمل خطايا الناس ، فعلى الأقل فلنحتمل خطايا الناس من نحونا ، و لنغفر لهم ٠٠ بهذا نشبه المسيح ، بهذا نستحق أن ندعى أولاد الله ٠ و بالحنان الذى نعامل الناس ، يعاملنا الله ٠٠

كثيرون يخلطون فى تصرفاتهم بين العنف و الحزم ٠

الحزم مقبول حينما يلزم ٠ أما العنف فإنه منفر ٠٠

حينما استشار رحبعام الشيوخ ، و الشباب : نصحه الشيوخ بالموقف اللطيف الطيب ، و نصحه الشباب بالعنف ٠ و نفذ الرأى القائل بالعنف ٠ و نفذ الرأى القائل بالعنف ، فخسر كثيراً ، و تمزقت المملكة (١مل ١٢) و و فشلت سياسة العنف التى اتبعها رحبعام ٠
و قد وقف الله ضد عنف فرعون ، صعد صراخ الناس إلى الرب من جراء هذا العنف ، فنزل لإنقاذهم ٠
كان عيسو و يعقوب أخوين ، و كان عيسو يمثل العنف ، و كان يعقوب يمثل اللطف و الهدوء ٠ و يقول الكتاب إن الله أحب يعقوب حتى قبل أن يولد ٠٠

الإنسان العنيف ، ربما تكون فى داخله قساوة قلب ٠ أما الوديع فيتميز بالحنو و الحب و العطف ٠

الإنسان العنيف ، ربما تسند عنفه كبرياء داخلية ٠ أما الوديع فإنه يكون متواضعاً فى معاملاته ٠ و قد أمتدح الرب الوداعة و الإتضاع ، فقال " تعلموا منى ، لأنى وديع و متواضع القلب " ٠٠

العنف يمكنك أن تخضع به الناس بالقوة و تسكتهم ، و لكنك لا تستطيع به أن تكسب محبتهم ٠

إنه يصلح لإخضاع الأشرار ، الذين يلزمهم الردع خوفاً من إيذائهم لغيرهم ، و لكنه لا يصلح فى التعامل مع النفوس الهادئة الوديعة ، و يفشل تماماً مع النفوس الحساسة ٠

العنف هو السلاح الأخير الذى يلجأ إليه الحكيم ، حينما تفشل كل الوسائل الهادئة ٠

و لكنه لا يمكن أن يكون أسلوب التعامل الدائم ٠ و ليس من الحكمة البدء بالعنف ، قبل الأساليب الهادئة ٠

فرق كبير بين " إنسان عنيف " أى أن العنف قد صار جزء من طبعه ، و إنسان آخر هادئ عموماً فى طبعه ، و لكنه يستخدم العنف للضرورة ، حينما لا تصلح الأمور إلا به . هنا نسميه حزماً .. **وأحياناً يوجد حزم بدون عنف ..**

[٨٠] مستويات

يوجد فى حياة الفضيلة مستويات ، نذكر من بينها :

المستوى الروحى ، و المستوى الإجتماعى .

الإنسان الممتاز روحياً ، لابد أن يكون ممتازاً إجتماعياً و لكن الإنسان الإجتماعى ، لا يشترك أن يكون روحياً .

ربما يستطيع الشخص الإجتماعى أن يكسب محبة الوسط المحيط به ، بطرق لا يستطيعها الروحى ، فى مجال الدعابة و الترفيه .. و بأسلوب قد يكون فيه الملق ، أو الكذب . و قد يساعد غيره بطرق لا يقبلها ضمير الإنسان الروحى ..

و هكذا ينجح الإجتماعى فى كسب الناس بطريقة غير روحية ..

و الشخص الروحى يحب أن يكسب الناس ، و لكن بطريقة لا يخسر بها الله ، و لا يفقد بها نقاوته .. **ومن هنا أختلفت مقاييس ما يليق و ما لا يليق ..**

كذلك فإن الشخص الروحى ، ليس هدفه فقط أن يكسب الناس لنفسه ، و إنما أن يكسبهم لله قبل كل شئ . فروحياتهم مهمة عنده كروحياته تماماً .

و الشخص المثالى هو الذى يجمع الأمرين معاً : فيكون إجتماعياً ناجحاً ، محبوباً من الناس ،

و فى نفس الوقت يكون أسلوبه روحياً سليماً لا خطأ فيه .

سهل جداً على شخص روحى ، أن يدرب نفسه على الصمت . فلا يخطئ بلسانه .. و لكن أقوى منه ، الروحى الذى يتكلم ، و ليس فقط لا يخطئ ، بل من الناحية الإيجابية ، يفيد غيره ، و يكون محدثاً لبقا يفرح الناس بحديثه ..

سهل جداً أن يمتنع إنسان روحى عن الفكاهة ، و يكون جاداً بإستمرار . و لكن قليلين يستطيعون أن ينسجموا مع جديته الدائمة ، و يسعدهم أن يروا إنساناً روحياً ، هو فى نفس الوقت شخص بشوش مرح ، يضحك معهم دون أن يخطئ ، و دون أن يخطئوا .

الروحانية ليست تزمتاً ، فالتزمت ينفر الناس ..

و الروحانية لا ترتبط بالوحدة فى بعدها عن المجتمع و أخطائه ، و إلا كان الدين لا يصلح للمجتمع .. إنما من الروحانية التكيف مع المجتمع ، و هو مستوى أعلى من المستوى الإجتماعى . و ليس من الحكمة أن يجعله البعض أقل منه . و إلا كان ذلك لوناً من الإنطواء ..

[٨١] القليل و الكثير

من الأمثلة المشهورة " قليل دائم خير من كثير متقطع " ٠

و هذا المثل يصلح ايضاً للحياة ٠ كثيرون يقفزون قفزات عالية سريعة ، ببدايات فوق طاقتهم ، لا يستطيعون أن يستمروا فيها ، فيرجعون إلى الوراء و ما تليث أن تملكهم الكآبة ثم اليأس ٠٠

و الوضع الروحى السليم ، أن يبدأ الإنسان بما فى مستواه ، لأن القليل الدائم يعطى ثباتاً فى الحياة الروحية ٠

بينما الكثير الذى لا يثبت ، يسبب إرتباكاً ، و يدل على عدم نظام ، و عدم السير حسب مشورة حكيمة ٠

إن من يصوم بدرجة معتدلة ، ينمو فيها قليلاً ، حتى يصل إلى مستوى روحى قوى ٠٠ هذا أفضل ممن يبدأ بمستوى عال لا يقدر عليه ، فيظل ينحدر شيئاً فشيئاً ، و كأنه لم يسر فى الطريق بعد ٠٠ و لكن القليل الذى نقصده هو القليل الذى فى مستوى قدرتك ، و ليس القليل الذى يعنى التكاسل ٠ و الله قادر أن يبارك القليل ، و أن ينميه ٠٠ يجب أن تسير فى روحياتك على أرض ثابتة ٠ تخطو الخطوة التى لا نرجع منها ، بل تتعداها إلى غيرها ، و تكسب خبرة كل خطوة ٠٠

[٨٢] المنفعة

كثيرون يطلبون كلمة منفعة ٠ ولكن هل كلهم ينتفعون ؟ إن المنفعة لها و لا شك مصدران ٠ الأول : أن تكون الكلمة ، كلمة نافعة ، صالحة لبنيان ٠ و الثانى : أن يكون السامع من النوع الذى ينتفع ٠

الذى يحب أن ينتفع ، يمكنه أن ينتفع حتى من كلمة التوبيخ ، حتى من الكلمة القاسية ، حتى من الكلمة التى تقال لغيره و ليس له ٠٠

إننا مازلنا ننتفع من الكلمات التى قالها الآباء لأناس عاشوا فى أيامهم ، فى غير جيلنا ٠٠ إن كلمات المنفعة موجودة : إن أردناها بنية صادقة ، نجدها أمامنا ٠٠ فالكتب مملوءة بكلام المنفعة ، و أفواه المرشدين تفيض حياة ، لمن يريد الحياة ٠٠

و لهذا بعد أن قال السيد المسيح كلمات منفعة لكل من ملائكة الكنائس السبع ، قال بعدها مباشرة : من له أذنان للسمع فليسمع "

إن كلمة المنفعة ، تحتاج إلى أذن للسمع ٠٠ تحتاج إلى حب المنفعة ، و أن تتعاون مع هذا الحب ، إرادة منفذة ٠٠

لأن المعرفة وحدها لكلام المنفعة لا تكفى ، فالمعرفة وحدها دينونة ، لأن " الذى يعرف أكثر يطالب بالأكثر " ٠٠ و قد قال السيد " الكلام لأن " الذى يعرف أكثر يطالب بالأكثر " ٠٠ و قد قال السيد " الكلام الذى أقوله ، هو يدينهم فى اليوم الأخير " ٠٠

إن أناساً سمعوا السيد المسيح ، و لم ينتفعوا من سماعهم ، بل إن أحدهم مضى حزيناً ..

و كثيرون سمعوا فأعجبوا بالكلام ، و لكن لم ينفذوا . و البعض سمعوا بولس الرسول ، فقالوا : ماذا يريد هذا المهذار أن يقول ؟ ! .. و لم ينتفعوا حتى من كلام بولس .

كلمة المنفعة كانت موجودة ، و لكن موجودة بلا منفعة !

و أمنا حواء سمعت الكلمة من الله ، ورددتها بحذافيرها ، و لم تنتفع ، بل وقعت فى نفس اليوم .. إن الناس يطلبون كلمة منفعة ، و لكن هل المنفعة هى بمجرد الكلام ؟ !

كثير من الناس فى عبادتهم ، و فى علاقتهم بالله ، يهتمون بالشكليات ، و يتركون الجوهر .

ففى الصلاة مثلاً ، يقفون أمام الله ، و يكلمونه ، و يهتمون بالكلام و كثرته . و كل هذه شكليات ، لأن جوهر الصلاة ، هو الصلة التى تربط الإنسان بالله ، الشعور بالوجود فى الحضرة الإلهية ..

و فى الصوم ، يركزون على فترة الإنقطاع ، و نوع الأكل ، و هذه أيضاً شكليات . أما جوهر الصوم من حيث عنصر المنع ، و المسيطرة على الذات ، و ضبط الجسد و الأرتفاع فوق مستوى المادة و الأكل ، هذا ما يغفله الكثيرون .

و فى الإستعداد للتناول كثيراً ما يهتم الناس بطهارة الجسد ، بوضع شكلى ، دون الإهتمام بجوهر الطهارة جسداً وروحاً !

و فى قراءة الكتاب المقدس ، يهتم البعض بكمية القراءة ، و المواظبة عليها ، و هذا شكل أما الجوهر فهو القراءة بفهم و تأمل ، و الغوص وراء المعانى و تحول القراءة إلى روح و حياة .. و بعض الناس يدخلون الحياة الرهبانية ، فيهتمون بالشكل الخارجى ، ومن جهة المطانيات و عددها و كثرتها ، و الأصوام و انقطاعها و شدتها ، و الحبس فى القلاية ، و الصمت ، و عدم الإهتمام بالملبس .. أما نقاوة القلب من الداخل ، و الموت الحقيقى عن العالم ، و هدف الرهبنة فى الإنشغال بالله و محبته ، هذا ما ينسونه وسط الإهتمام بالشكليات ! فقد يشغل كل إهتمامنا ، ماذا نقول .. أما تأثير ما نقوله فى تغيير قلوب الناس ، و فى توصيلهم إلى محبة الله ، فهذا ما يغفله الكثيرون .. و قد تكثر فى الخدمة الأنشطة العديدة ، و التنظيمات ، و الأسماء البراقة ، و كلها شكليا و العمق معروف ، الذى هو الهدف من الخدمة ، أعنى خلاص النفس .. و لكن أين هو ؟ !

إن الشكليات لا تبنى الملكوت إطلاقاً ، بل هى تذكرنا بما قاله الرب عن الكتبة و الفريسيين الذى ينظفون خارج الكأس و الصحفة ، و الذين يشبههون القبور المبيضة من الخارج ، أما الداخل .. فعكس ذلك تماماً ..

الله لا يهمة الشكليات ، لذلك قال " يا إبنى أعطنى قلبك " و لهذا لا يهتم بحرفية الوصية ، إنما أهتم بما فيها من حب ، و قال عن المحبة ، إنه يتعلق بها الناموس كله و الأنبياء ..

كثير من التجارب تأتى من جسد الشياطين ..

فإن وجد الشيطان شخصاً ناجحاً فى روحياته ، مرتفعاً إلى فوق ، يثور حسده ، و يهجم عليه بالتجارب ، ليرى ما مدى ثباته فى حياة الروح ..

و هذا هو الذى حدث مع السيد المسيح له المجد ..

لم يسترح الشيطان للمجد العظيم الذى ناله السيد المسيح عند نهر الأردن . من شهادة الآب له " هذا هو إبنى الحبيب الذى به سررت " و شهادة الروح القدس الذى حل عليه كحمامة ، و شهادة يوحنا المعمدان " لست مستحقاً أن أنحنى و أحل سيور حذائه " .. لذلك سعى وراءه بالتجارب على الجبل . إن حرب الشياطين تكون أحياناً شهادة لنجاح العمل الروحى ، وبه يطمئن الشخص على عمله .

و تجارب الشياطين على نوعين : ضيقات و إغراءات ..

الضيقات لا تؤذى ، بل تفيد ، و تعلم الإنسان الصبر ، تعطيه إختباراً فى معونة الله . و عنها قال يعقوب الرسول " إحسبوه كل فرح يا إخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة " .
أما التجربة بالخطية فهى الشئ المتعب .. إذ قد تلح الخطية على المؤمن عملاً أو فكراً بطريقة قاسية ، و مع رفضه لها ، تستمر فى مقاتلته ، فيصرخ إلى الله و يقول " لآ تدخلنا فى تجربة " ..

و التجارب تدل على أن الشيطان لا ييأس ..

لا ييأس مهما كانت عظمة الشخص الذى يحاربه أو قوته ، كما حدث فى جرأته فى محاربته للسيد المسيح . و لا ييأس أيضاً من طول المدة . فقد حارب السيد المسيح أربعين يوماً .
و على الرغم من فشله و طرد الرب له ، فارقه إلى حين ، و عاد للتجربة حتى و الرب على الصليب .

و نحن لا نخاف من حروب الشياطين ..

فالنعمة التى معنا ، أقوى بكثير من كل حيل الشياطين ، و الروح القدس العامل فينا ، قادر على قهر الشيطان ، كما أن الله أعطانا السلطان على جميع الشياطين ..
و كما انتصر السيد المسيح على كل تجارب الشيطان ، أعطى طبيعتنا البشرية روح النصرة ، و أصبح يقودنا من موكب نصرته . ليكن الرب مباركاً فى تجاربنا ، كما فى عبادتنا .

الله خلق كل شئ ، لأجل روحياتك ٠٠السماء و الأرض ليسا فقط لنفعك المادى ، و إنما لنفعك الروحى أيضاً ، إن استعطت أن تستخرج ما يقدمان من دروس روحية " السماء تحدث بمجد الله ، و الفلك يخبر بعمل يديه " (مز ١٩)
و الكتاب ، ليس لأجل المعرفة الدينية ، و إنما لأجل نموك الروحى " الكلام الذى أقوله لكم ، هو روح و حياة "٠ و فرق كبير بين قراءة الكتاب للدراسة ، و قراءته للإستفادة الروحية٠
و الخدمة ايضاً ليست مجرد تعليم ، و إنما التعليم هو مجرد وسيلة توصل إلى الروحيات ٠
و لذلك يوجد فرق بين تعليم و تعليم ٠

هناك تعليم يخاطب ذهنك ، و تعليم يملأ قلبك ٠ تعلم يحولك إلى عالم ، و تعليم آخر يحولك إلى عابد ٠٠

و التعليم الذى تقوله ، ليس هو لروحيات الآخر ين فقط ، إنما أيضاً لروحياتك أنت بالذات ٠ تنتفع كما ينتفع سامعوك ٠ و إن كنت لا تنتفع معهم ، فيقيناً هم أيضاً سوف لا ينتفعون بما تقول ، لأم الكلام يكون قد فقد تأثيره الروحى ٠
و الألحان و التراتيل فى الكنيسة ، ليست هى مجرد موسيقى و أنغام ٠ إنما هى صلوات موجهة إلى الله ، و لها عمقها ، و لها تأثيرها فى قلبك و فى روحياتك ٠٠

و لهذا هناك فرق بين من يغنى ، و من يرتل ٠٠

بنفس الوضع نتكلم عن كل الوسائط الروحية بل كل الأحداث التى تمر عليك ، سمح بها الله ، من أجل أن تأخذ منها منفعة روحية ٠٠

هناك من ينفعل بالأحداث عصبياً ، أنفسياً ، أو عقليا ٠ و هناك من ينفعل روحيا بكل ما يمر من أحداث ، فيقربه كل شئ إلى الله ٠٠

و أيضاً كل من يقابلك من الناس ، أرسلة الله إلى طريقك لفائدتك الروحية ، لو عرفت كيف تستفيد منه ٠

الأبرار يقدمون لك قدوة و بركة ، و الأشرار تستفيد منهم احتمالاً و صبراً و مغفرة للآخرين ٠

[٨٦] التوبة و كمالها

التوبة درجات و خطوات يسير فيها الإنسان :

١-الخطوة الأولى هى الشعور بسوء الحالة و الرغبة فى تغييرها ، كما حدث بالنسبة إلى الإبن الضال ، الذى رجع إلى نفسه ، و شعر بأنه يكاد يهلك جوعاً ، ووجد أن الحل الأمثل هو فى الرجوع إلى أبيه ٠
٢-الخطوة الثانية هى ترك الخطية ، و الإبتعاد عن كل الطرق المؤدية إليها ٠ و المقصود بترك الخطية ، ليس ترك خطية معينة و إنما ترك الخطية عموماً ٠
٣-و فى هذه النقطة يبدأ الإنسان يكتشف نفسه ٠

و كلما ينمو فى الروح ٠ يكتشف أخطاء جديدة له لم يكن يدركها من قبل ، فيعمل على تركها ٠ و هكذا يدخل فى مراحل كثيرة من تنقية النفس ، حتى ترجع إلى صورة الله

٣-و ترك الخطية فى حياة التوبة ، ينبغى أن يكون تركاً دائماً ثابتاً فلا يرجع إلى الخطية مرة أخرى ٠ و هكذا كانت توبة القديسين ٠ لم نسمع أن أوغسطينوس رجع إلى الخطية مرة أخرى ٠ و كذلك موسى الأسود ، ومريم القبطية و بيلاجيه ٠ كانت التوبة فى حياة كل هؤلاء ، تحولاً ثابتاً نحو الله ، و بلا رجعة إلى الخطية

٤-على أن كمال التوبة - كما قال القديسون - لا يكون مجرد ترك الخطية ، و إنما يكون كراهية الخطية ٠

فالذى يترك الخطية بالفعل ، و لكنه يظل مشتاقاً إليها بالقلب ٠ لا يكون قد تاب على وجه الحقيقة ، و لأن قلبه لم يتب عنها و هو معرض أن تحدث له نكسة من جهة الفعل ايضاً ٠ و على كل فالقلب هو الأساس و الرب يقول " يا إبنى أعطنى قلبك "

٥-و مثل هذا التائب لا يستطيع أن يخطئ ، لأن كل مشاعره ورغباته أصبحت لا تتفق مع الخطية ، و لا تقبلها ٠ كما أنه لا يحتاج إلى جهاد للبعد عن الخطية ، لأنه يبعد عنها تلقائياً ، لكراهيته لها ٠

٦-و التوبة الحقيقية ينبغى أن يكون لها ثمار ٠

كما قال الكتاب " إصنعوا ثماراً تليق بالتوبة ٠٠ و أول هذه الثمار محبة لله تملك القلب ، تغير الحياة ، و تثمر بالبر

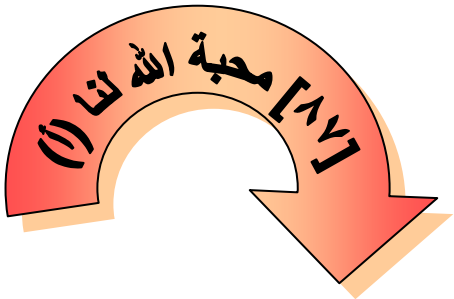

ما أعظم محبة الله لنا ٠ يكفى أن الله محبة ٠٠ و نحن " نحبه لأنه أحبنا قبلاً " ٠٠

أحبنا قبل أن نكون ، و من أجل ذلك خلقنا ٠٠ و من محبته لنا ، خلقنا على صورته ، كشبهه و مثاله ٠

و أعد لنا كل شئ قبل خلقنا ، رفع السماء لنا سقفاً ، مهد لنا الأرض لنمشى عليها ٠ و أعد لنا النور ، و الماء ، و النبات ، و الجنة ٠٠ ثم خلقنا ٠ و لما سقطنا فى الخطية ، أعد لنا طريق الخلاص ٠ من محبته لنا أرسل لنا الأنبياء لهدايتنا ، ووضع فينا الضمير ، و أرسل لنا الشريعة المكتوبة لتنير بصائرنا ٠

و من محبته لنا ، تجسد ، أخذ طبيعتنا ، و بارك طبيعتنا فيه ، و ناب عنا فى إطاعة الناموس ، و فى إرضاء الله الآب ، إذ قدم له صورة من البشرية التقية ٠

و من محبته لنا ، مات عنا " البار لأجل الأثمة " ٠٠ " هكذا أحب الله العالم ، حتى بذل إبنه الوحيد " ٠٠

على الصليب صار ذبيحة حب ٠ و حمل خطايا العالم كله ، لكى يمحوها بدمه " و الذى بلا خطية ، حسب خطية من أجلنا " و دفع الثمن كله ، بدلاً منا " كان قد أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى " ، " ليس حب أعظم من هذا ، أن يضع أحد نفسه عن أحبائه "

و من محبته لنا ، قال " لا أعود أسميكم عبيداً ، بل أحباء "

ودعانا أخوته ، و " شابه أخوته فى كل شئ " و صرنا ابناء للآب السماوى " أنظـروا أيـة محبة أعطانا الآب ، حتى ندعى أولاد الله " ٠

و من محبته لنا ، مضى ليعد لنا مكاناً ، و يأخذنا إليه ، حتى حيث يكون هو نكون نحـن أيضاً ٠٠ و قال فى محبته لنا " ها أنا معكم كل الأيام ، و إلى إنقضاء الـدهر " ، " حيثمـا اجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمى ، فهناك أكون فى وسطهم " ٠ و مـن محبتـه لنـا : حفظـه ورعايته لنا فى كل شئ ٠

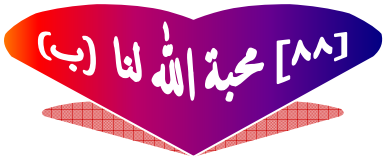

من محبة الله لنا ، أنه يعتبرنا منه ٠ فيقول " أنا الكرمة و أنتم الأغصان " ، و يقول أننا " أعضاء جسده " أو إنه الرأس ، و الكنيسة كلها هى الجسد ، و يقول أيضاً " إثبتوا فى ، و أنا فيكم ، كما تثبت الأغصان فى الكرمة " (يو ١٥) ، و يقول عنا للآب " أنا فيهم ، و هم فى ليكونوا مكلمين إلى واحد " (يو ٧)

*و ما أجمل تعبير الكتاب عن محبة الله لنا ، فى قوله " شركاء الطبيعة " و أيضاً " شـركة الروح القدس " ٠ و هى طبعاً ليست شركة فى الطبيعة أو الجوهر ، و إنما شركة فى العمل ٠ و لذلك يقول بولس عن نفسه وزميله سيلا " نحن عاملان مع الله " (١كو٣) ٠

***و من مظاهر محبة الله لنا ، و الصداقة التى أقامها بينه و بين بنى جنسنا ٠**

مثل إبراهيم الذى قيل عنه إنه خليل الله ، و أخنوج الذى قيل عنه " وسار أخنوج مع الرب ، و لم يوجد لأن الله رفعه إليه ، و مثل موسى الذى قضى أربعين يوماً مع الرب على الجبـل ٠ و مثل تلاميذ الإثنى عشر ، و عشرته لهم ٠٠

***و جميل أيضاً أن الله جعل لذته فى بنى البشر ٠٠**

و أنه هوغير المحدود ، تنازل إلى البشر المحدود و تفاهم معهم ، و تراءى لهم و تحـدث إليهم فماً لأذن

***و من محبة الله لنا أيضاً كل صور الرعاية العجيبة** التى حكاها لنا التاريخ ، مثـل شـق البحر الأحمر ، و المن و السلوى فى البرية ، و تفجير الماء من الصخرة ، ورعاية إيليا من المجاعة ، و انقاذ بطرس من السجن ، و دانيال من جب الأسود ، و الثلاثة فتية من أتـون النار ٠٠ مع قصص لا تنتهى ٠

***و من علامات محبة الله ، وعودة الجميلة لنا :**

" نقشتكم على كفى " ، " حتى شعور رؤوسكم محصاه " ، " أعطـيكم قلبـاً جديـداً " ، " لا يستطيع أحد أن يخطف من يد أبى شيئا " ، " أنا ماض لأعد لكم مكاناً " ٠٠

***و من دلائل محبة الله للإنسان ، مواهبه له ٠**

موهبة الخلود ، و موهبة القيامة على شبه جسد مجده ، ومواهب الروح القدس المتعـددة ٠٠ مبارك الرب فى محبته ٠

[٨٩] المحبة تبذل

المحبة تختبر بالألم ، و تختبر بالضيقة ، و البذل ٠

و الذى لا يستطع أن يبذل ، هو إنسان لا يحب ٠٠ فإذا أحب ، بذل كل شئ

إبراهيم أبو الآباء ، من أجل محبته لله ، ترك أهله و عشيرته و بيت أبيه ، و عاش متغرباً فى خيمته ٠٠ و لكن حب إبراهيم لله و صل إلى قمته ، حينما وضع إبنه وحيده الذى يحبه ، على المذبح ، و حوله الحطب و النار ، ورفع يده بالسكين ، ليبذل إبنه ٠

وحينما أحب دانيال الرب ، بذل نفسه ، ورضى أن يلقى إلى جب الأسود ، و كذلك الثلاثة فتيه ، يرهنوا على محبتهم ببذلهم أنفسهم ، ليقلوا فى أتون النار ٠٠ بولس الرسول ، قال فى حبه للسيد المسيح :

" خسرت كل الأشياء ، و أنا أحسبها نفاية ، لكى أربح المسيح وأوجد فيه

آباونا الشهداء ، وآباؤنا المعترفون ، من أجل محبتهم للرب بذلوا دماءهم أو حياتهم أو راحتهم ، و دخلوا إلى العذاب و لم يخافوا من أجل عظيم حبهم ٠٠

هناك عوائق تمنع الإنسان من البذل : هى محبة الراحة ، أو محبة الكرامة ، أو محبة الذات ٠٠ أما الحب الحقيقى ، فلا تهمه الراحة و لا الكرامة و لا الذات ٠٠

إنه يبذل كل شئ ، من أجل من يحبه ٠٠ يعقوب أبو الآباء ، عندما أحب راحيل ، بذل من أجلها الشئ الكثير ٠ تعب من أجلها عشرين سنة ، تحرقه الشمس بالنهار ، و البرد بالليل ٠٠ و كل هذه السنوات ، كانت فى نظره كأيام قليله بسبب محبته لها ٠

و أنت ماذا بذلت من أجل المسيح ، الذى بذل ذاته من أجلك على الصليب ؟

الذى يحب ، يبذل ذاته من أجل الله ، و الناس ٠ و يتدرب أولاً على بذل ما هو خارج ذاته ، كالمال ، و الوقت ، و القنية ٠٠ أما الذى لا يستطيع أن يبذل ما هو خارج ذاته ، فكيف **يبذل ذاته ؟! إن كنت لا تستطيع أن تبذل ، فأنت لا تحب غيرك ، إنما تحب ذاتك فقط**

[٩٠] حلول الرب

حقاً إن الله عنده حلول كثيرة ٠٠

نحن نفكر فى مشاكلنا بعقلنا البشرى ، و علقنا محدود ، أما الله فهو غير محدود فى معرفته و فى حكمته ٠

و حينما تضيق الأمور ، يكون ضيقها نسبياً ، أى بالنسبة إلينا نحن البشر ٠ أما بالنسبة لله ، فلا ضيق ٠ كل شئ سهل ، و الحلول كثيرة ٠

إنه يتدخل فى الوقت المناسب ، و بالطريقة المناسبة ، و ربما بحلول ما كانت تخطر لنا على بال ، و ما كنا نفكر فيها أو نتوقعها ٠٠

و غير المستطاع عند الناس ، مستطاع عند الله ٠٠ بل عندالله كل شئ مستطاع ، إذ لا يعسر عليه أمر كما قال أيوب الصديق ٠ إن الله ضابط للكل ، يرى كل شئ ، و لا يخفى عليه تدبير ، يدبر فى الخفاء أو الظلام ٠ الكل مكشوف أمام عينيه ، و الرد عليه معروف ٠

لذلك حسناً قال موسى النبى " قفوا و انظروا خلاص الرب ٠ الرب يقاتل عنكم ، و أنتم تصمتون "٠

و حلول الرب قوته ، خلاصه عظيم ٠٠ و المؤمنون بنتظرون خلاص الرب فى رجاء ، و يفرحون بالرجاء ٠٠و عمل الله من أجلهم فى القديم ، يزيد إيمانهم بعمل الله الآن و فى المستقبل ، و كل حين ٠٠ الله هو الله ، لا يتغير ، فى محبته و حفظه ٠٠ هكذا قال المزمور : الرب يحفظك من كل سوء ، الرب يحفظ نفسك ، الرب يحفظ دخولك و خروجك ٠ و نحن فى حياتنا ، نتعامل مع الله ، و ليس من الناس ، نحن و الناس جميعاً فى يديه ٠ و ليس أحد مستقلاً عن الله ، و خارجاً عن سلطانه ٠٠ لذلك نحن مطمئنون إلى عمل الله معنا وواثقون بتدخله ، مستمعين إلى أنشودة المرتل : **أنتظر الرب ، تقوا و ليتشدد قلبك ، و انتظر الرب ٠** ليكن إسم الرب مباركاً كل حين ٠٠

المشكلة وحدها ، بدون الله ، قد تسبب تعباً للبعض ٠ و لكن المشكلة ، مع وجود الله ، لا تسبب تعباً ٠٠

بل الرجاء بالله و تدخله ، يعطى القلب فرحاً و اطمئناناً ٠ و كما قال الرسول " ٠٠فرحين فى الرجاء " (رو ١٢) ٠

+ هل كان " حب الأسود " مخيفاً لدانيال ؟

يقيناً ، لم يكن كذلك ، مادامت معه عبارة : " إلهى أرسل ملاكه ، فسد أفواه الأسود "

+ وهل كان نار الأتون مصدر ضياع للثلاثة فتية ؟

كلا ، لم تكن كذلك ، ما دام هناك (رابع) سبيه بأبناء الآلهة ، يتمشى معهم داخل الأتون ٠

+ و هل كان منظر جليات الجبار ، مرعباً لداود ؟

إنه كان كذلك بالنسبة لأفراد الجيش ، الذين و اجهوا جليات و تهديداته ، بدون الرب ٠ أما داود فكان قوياً ، لم يزعجه جليات و تهديداته لأنه أدخل الرب إلى الميدان ، قال : الحرب للرب ٠ أنا آتيك باسم رب القوات ٠٠ اليوم يحبسك الرب فى يدى ٠٠

+ إن شعورنا بوجود الله معنا ، هو سبب كل اطمئناننا ، فإسم الرب برج حصين ، يلجأ إليه الصديق و يتمنع ٠ " الرب يحفظك من كل سوء ٠ الرب يحفظ نفسك " ٠٠ " الرب يحفظ

دخولك و خروجك " هكذا قال المزمور ٠٠ " جعلت الرب أمامى فى كل حين ٠ لأنــه عــن يمينى فلا أتزعزع " حقاً ، إن إدخال الرب فى المشكلة ، يحلها ٠٠

+باسم الرب ، وقف إيليا النبى أمام آخاب ٠٠

و باسم الرب ، وقف موسى و هارون أمام فرعون ٠٠ و باسم الرب ، وقف بولس ، أمــام فستوس و أغريباس ٠٠

+ كان الرب هو قوة هؤلاء القديسين و أمثالهم ٠

و فى ذلك قال المرتل " قوتى و تسبحتى هو الرب ، و قد صار لى خلاصاً " ، " الرب نورى و خلاصى " ٠

+ إننا نتعامل مع الله ، و ليس مع الناس ٠٠ و نضع الرب أمامنا ، فــى كــل مشــاكلنا ، فيعطينا قوة ٠ **إن ضعف يوماً ، فاعرف إن نسيت قوة الله ٠**

[٩٢] رؤية أخرى

نحن ننظر إلى الأمور ، بطريقة معينة ، و من زاوية معينة فنراها بشكل ما ٠ و لكن رؤيتنا ليست كل شئ ٠

هناك رؤية أخرى ، و بالإيمان ، توافق ما يراه الله ٠

*ماذا نرى فى بيع يوسف كعبد بواسطة أخوته ؟ و ماذا نرى فى سجنه ، بعد كل إخلاصــه لبيت فوطيفار ؟ لا نرى فى كل ذلك سوى الشر و الغيرة و الخيانة ٠٠ و نرى فى ذلك أيضاً الظلم و سوء المصير ٠ أما الله فكانت له رؤية أخرى للأمور ٠ كانت هذه هى الطريقة التى سيتمجد بها يوسف ٠

*و ماذا نقول نحن عن تصرف يهوذا الأسخريوطى ، سوى الخيانة فى أحط صورها ؟!

و ماذا نقول عن تصرف بيلاطس البنطى ، سوى أنه الجبن و الظلم و الأستسلام للشر ؟!

و ماذا نقول عن حنان و قيافا ، سوى الحسد و الكذب و التآمر ؟! و نرى أن كل ذلــك مــا كان يجب أن يحدث ٠ و لكن الله كانت له رؤية أخرى ٠ كان يرى الخلاص نتيجة الصــلب الذى سببه هؤلاء إنه الله الذى يحول الشر إلى خير ٠

ليس معنى هذا أن شرور هؤلاء خير !

كلا ، و لكن الرؤية الأخرى هى أن الله قادر أن يخرج من الحافى حلاوة ٠ و أن يحعل كــل الأمور تؤول إلى مجد إسمه القدوس ٠

*ركب يونان سفينه ، هاجت عليها الأمواج حتى كادت تنقلب ، و حتى ألقى الناس أمتعتهم فى البحر ٠ و هم فى غاية الإنزعاج و الخوف ٠٠ فهل كان كل ذلك شراً ؟ أم كانت لهــذه الكارثة البحرية رؤية أخرى ٠

الرؤية الأخرى هى أن هذه الأمواج من البحر الصاخب ، كانت سبباً فى إيمان أهل السفينة

***لا شك أن رؤيتنا نحن قاصرة ٠٠ فقد ترى التجربة ، و لا ترى البركة التى سيحققها الله حتما من وراء هذه التجربة ٠**

و لكننا بالإيمان نرى هذه البركة ، واثقين " أن كل الأشياء تعمل معاً للخير ، للذين يحبــون الرب " ٠

الإخلاص هو نقاوة الحب ، و صدق العاطفة ، و مشاعر الوفاء يقدمها لــك مخلــوق تثــق بمودته ٠

و يبدو الإخلاص على حقيقته فى أوقات الضيقات ، أو أن معدنه يمتحن فى وقت الضيقة ٠

بهذا الإخلاص قال القديس بطرس الرسول للسيد المسيح " ولو أدى الأمر أن أموت معك "
و قال السيد المسيح لتلاميذه : أنت الذين ثبتم معى فى شدائدى ٠
و بهذا الإخلاص وقفت المريمات و يوحنا الحبيب حول المسيح أثنــاء صــلبه ، و بــنفس الإخلاص تقدم يوسف الرامى إلى بيلاطس يطلب جسده ليكفنه مع نيقوديموس ٠

و لم يبال أحد من هؤلاء فى إخلاصه ، بماذا يقال عنه ، أو بماذا يحدث له ٠

الإخلاص يتميز بالبذل ،و فيه ينسى الإنسان ذاته ، و لا يذكر إلا حبه و من يحبه ٠ و يحكى لنا الكتاب إخلاص راعوث لحماتها نعمى ، و قولها لها " حيثما ذهبت أذهب ، و حيثما مــت أموت " ٠ بالإخلاص عاش يوناثان مع داود ، و اضطره الأمر أن يحتمــل تــوبيخ أبيــه و غضبه ، بسبب محبته لداود ٠ و بنفس الإخلاص أحسن داود إلى كل من وجده من أســرة يوناثان بعد وفاته ٠
وبالإخلاص قدم الشهداء أنفسهم حباً للمسيح ، تحمل المعترفون كل صنوف العذاب من أجله و هناك من أخلصوا لأسراتهم ، أو لمعلمــيهم ، أو لآبــائهم الــروحيين و الجســديين ، أو لأوطانهم ، أو لمبادئ معينه عاشوا لها ٠٠ إخلاصاً حتى الموت ٠
و هناك أنواع أخرى من الإخلاص ، كإخلاص الطبيب لمريضة ، و المحــامى لموكلــه ، و الأستاذ لتلاميذه ، و الكاتب لقرائه ، و الحارس لمن يحرسه ٠

هناك من يخلص بدافع الواجب و الضمير ، و من يخلص بدافع الحب و الوفاء ، و من يخلص لأن الإخلاص طبيعة فيه ، يعامل بها كل أحد ، و بالأكثر من يحبهم ٠

ما أجمل الإخلاص ، إنه نبل ، و حب ، و تاج ذهبى ٠٠

أكثر صلاة تتكرر فى طقوسنا ، هى الصلاة من أجل سلام الكنيسة ، و هى التى نقول فيه :
" أذكر يا رب سلام كنيستك الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسوليه ٠ هذه الكائنة من أقاصى المسكونة إلى أقاصيها ٠ إحفظها بسلام " ٠
نصليها فى مقدمة الأواشى الصغار ، و فى مقدمة الأواشى الكبار وو فى رفع بخور عشية ، و فى رفع بخور باكر ، و فى كل دورة يدورها الكاهن بالخور حول المذبح مصلياً الأواشى و فى أول القداس ٠ عند تقديم الحمل ، نصلى قائلين : سلاماً و بنياناً لكنيستك المقدسة ٠
و نقول هذه الطلبة عينها فى سيامة الآباء الكهنة أيضاً و نذكر سلام الكنيسة أيضاً فى أوشية الملك أو الرئيس ٠ فنقول فيها أيضاً : تكلم فى قلبه من جهة سلام كنيستك الواحدة الوحيدة المقدسة الجامعة الرسوليه ٠
و كان سلام الكنيسة أيضاً أهم ما كان يشغل آبائنا الرسل ، كل آبائنا القديسين ٠

الكنيسة كانت تمثل فى نظرهم جميعاً ، ملكوت الله على الأرض الذى سيتمد فى الملكوت السماوى ٠

إنها تمثل موطن الإيمان ٠ و مسكن الله مع الناس ٠ سلامها و سلامتها هما موضع صلاة كل إنسان ، أكثر مما يصلى من أجل طلباته الخاصة ٠ إنها مركز تأملاته فى الصلاة الربانية التى يقول فيها " لتقدس إسمك ٠ ليأت ملكوتك ٠ لتكن مشيئتك " ٠٠
الصلاة من أجل سلام الكنيسة ، هى الصلاة التى عاشت على مدى الأجيال فى أفواه المؤمنين ، رعاة ورعية ، إكليروساً و شعباً ، حتى فى طقس سيامة الرهبان الذين انقطعوا عن العالم ، نصلى لأجل سلام الكنيسة ٠ و جميل أن الأنبا بولا أعظم المتوحدين و السواح ، سأل الأنبا أنطونيوس عن سلام الكنيسة ٠

أنها صلاة نصليها من عمق قلوبنا ٠ لا كمجرد طقس ، إنما كمشاعر حية متقدة ٠

ليت كل أحد يفرغ فيها كل عواطفه ، آمين ٠

العثرة هى السقطة ٠ و الذى يعثر غيره ، هو الذى يتسبب فى سقوط غيره ، بالعمل أو بالفكر ٠
و قد قال السيد المسيح " ويل لمن تأتى من قبله العثرات ، خير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى و يطرح فى البحر من أن يعثر أحد هؤلاء الصغار " (لو ١٧ : ١،٢)

و الصغار ، و إما أن يكونوا صغاراً فى الإيمان أو فى الدرجة الروحية ، بحيث يمكن للعمل المعثر أن يتعبهم ٠

كثيراً ما يتكلم كبار أفراد الأسرة أمام الأطفال ٠ بكلام ما كان يليق أن يسمعوه ، على اعتبار أنهم لا يفهمونه ٠ و غالباً ما يعثرهم ، أو يرسب فى أذهانهم ٠ كذلك تشاجر الوالدين أو اختلافهم أمام أبنائهم الصغار يسبب لهم عثرة ، لأنهم يتوقعون المثالية من الكبار ٠ و أيضاً طلاق الوالدين عثرة لأبنائهما ٠

و ما أكثر ما تكون مسائل الترفية التى تقتنيها الأسرة عثرة للأولاد ، سواء بعض برامج التلفزيون ز الراديو و بعض المجلات و الكتب ٠ وحفلات معينة تقيمها الأسرة تكون عثرة لأبنائها و القدوة السيئة تعثر الصغار ، سواء فى الكلام أو التصرف ، أو الملابس ، أو نوع المعاملات ٠٠ و كثيراً ما يتعلم الأطفال من أفراد أسرتهم الكذب ، و التهكم على الآخرين ، و المبالغة ، ٠ بل قد يقلدونهم فى حركاتهم و ملامحهم و أصواتهم ، و الأطفال مغرمون بالتقليد ٠ و قد تأتى العثرة من الفكر و التعليم الذى يتلقونه من الكبار ، سواء فى البيت أو المدرسة أو الجيران ، إذا كان هذا التعليم يغرس فيهم أفكاراً منحرفة٠ أو يسبب لهم مشاعر خاطئة أو كراهية نحو البعض ٠ و إن تعارضت المبادئ التى يتلقاها الصغير ، مع مبادئ أخرى يتلقاها من كبير آخر ن يصاب الطفل بالحيرة و التمزق ، و الشك ، و يعثره هذا التعارض فى التعليم ٠

إن الصغار أمانة فى أعناقنا " إن لم نستطع أن نغرس فيهم الخير فعلى الأقل لا نعثرهم

[٩٦]مجد الألم

يقول القديس بولس الرسول فى رسالته إلى رومية :

" إن كنا نتألم معه ، فلكى نتمجد أيضاً معه " (٨ : ١٧)

وهكذا يكون الألم من أجل الرب ، هو مقياس ما يناله المؤمن من مجد فى الملكوت الأبدي

و لهذا فإن الكنيسة تضع الشهداء فى قمة القديسين ٠

تذكرهم فى صلواتها ، قبل أسماء الآباء السواح و المتوحدين ، الذين ملأوا البرارى صلوات و تأملات ، و تذكرهم قبل الآباء البطاركة و الأساقفة بكل خدماتهم و نشرهم للكلمة ٠ كل ذلك بسبب آلامهم التى تحملوها لأجل الرب ٠ و حتى فى الخدمة ، يبدو مقياس الألم واضحاً أيضاً ٠ فيقول الرسول " كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه " (١كو٣ : ٨) ٠ ٠ و هكذا نجد الرب يقول فى رسالته إلى ملاك كنيسة أفسس أنا عارف أعمالك و تعبك و صبرك ٠٠ و قد احتملت ، و لك صبر ، و تعبت من أجل إسمى ، و لم تكل " (رؤ ٢ : ٢ ، ٣) واضعاً التعب فى المقدمة ٠ و قول الكتاب أن الله " لا ينسى تعب المحبة " (عب ٦ : ١٠) فالمحبة تعبر عن وجودها ، بتعبها من أجل الذى تحبه ٠ لأن المحبة " ليست بالكلام و لا باللسان " (١يو ٣ : ١٨) و عمق المحبة يظهر فى الألم ، حينما تصعد المحبة إلى مستوى البذل و التضحية و الفداء ٠

و هكذا ظهرت محبة الله لنا فى عمقها على الصليب ، حينما بذل ذاته عنا البار لأجل الأثمة

و كان المسيح فى قمة مجده ، فى عمق ألمة ٠

و لذلك قال عن صلبه " الآن تمجد إبن الإنسان " (يو ١٣ : ٣١) ٠ و صورة صلبه هى

صورة مجده ٠٠ إن بولس الرسول يعتبر أن الألم هبة من الله ٠

و يقول فى ذلك " أنه قد وهب لكم لأجل المسيح ، و لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضاً أن تتألموا لأجله " (فى ١ : ٢٩) ٠ و يقول بطرس الرسول عن منهج الألم : " لأنكم لهذا دعيتم ، فإن المسيح أيضاً تألم أجلنا ، تاركاً لنا مثالاً لكى تتبعوا خطواته " (١بط ٢ : ٢١)

[٩٧]الصعود

فى يوم الخميس الماضى ، احتفلت الكنيسة بعيد الصعود المجيد ، إذ صعد المسيح إلى السماء ، و جلس عن يمين الآب ٠ صعد فى مجد متحدياً كل قوانين الجاذبية الأرضية ٠ و

أعطانا أيضاً أن نصعد مثله ، و نتحدى جاذبية الأرض ، و ننضم إلى جاذبيته هو

بقوله " و أنا إن أرتفعت ، أجذب إلى الجميع " ٠٠ أخذته سحابة ، و اختفى عن أينهم ٠ و سيأتى ثانية على سحاب السماء ، مع ملائكته وقديسيه ، لكى يرفعنا معه على السحاب ، و نكون مع الرب فى كل حين ٠

و كما جلس عن يمين الآب ، سيجلسنا معه فى مجده ٠

هذا الذى صلبوه فى الجلجثة ، و أحصى وسط أثمة ، مع كثيرين التعيير و الإهانات ، قام من الأموات فى مجد ، و صعد إلى السموات فى مجد و جلس عن يمين الآب فى مجد و لم تكن الجلجثة نهاية محزنة لحياته ، إنما كانت بداية لكل أمجاده ٠٠

و هكذا كل من يتألم معه ، لا بد سيتمجد معه ٠٠ كانت آخر صورة رآها له الإثنا عشر ، هى هذا الصعود ، الذى رفع كل أنظارهم إلى فوق ، حيث المسيح جالس ، والتى قال عنها الرسول " رفع فى المجد " (١تى ٣ : ١٦)

و لم يعد ألم المسيحية منفصلاً عن أمجادها ٠

هذا المسيح الذى تألم من أجلنا ٠ ظهر للقديس اسطفانوس فى آلام استشهاده ، فرأى السماء مفتوحة ، و أبصر مجد الله ، ورأى قائماً عن يمين الله (أع ٧ : ٥٥ ، ٥٦) فصرخ أيها الرب يسوع إقبل روحى إن الذى نزل ، هو الذى صعد أيضاً ٠٠و نحن لا يمكن أن نصعد ، إن لم ننزل أولاً

ندخل مثله فى إخلاء الذات ، و فى تحمل الآلام ، و فى الصعود إلى الصليب ، قبل الصعود إلى يمين الآب ٠٠

و إذ صعد المسيح إلى فوق ، فإننا باستمرار نرفع أبصارنا إلى فوق ، حيث جلس المسيح عن يمين أبيه ، و حيث يرجع إلينا مرة أخرى على السحاب ليأخذنا إليه ٠

فنصعد حينئذ صعوداً لا تزول بعده مرة أخرى ٠٠ آمين ٠

[٩٨] صوم الرسل

لا يستهن أحد بصوم آبائنا الرسل ، فهو أقدم صوم عرفته الكنيسة المسيحية فى كل أجيالها و أشار إليه السيد بقوله " ولكن حينما يرفع عنهم العريس فحينئذ يصومون " ٠٠

و صام الآباء الرسل ، كبداية لخدمتهم ٠ فالرب نفسه بدأ خدمته بالصوم ، أربعين يوماً على الجبل ٠

صوم الرسل إذن ، هو صوم خاص بالخدمة و الكنيسة ٠

قيل عن معلمنا بطرس الرسول إنه صام إلى أن " جاع كثيراً و اشتهى أن يأكل " (أع ١٠ : ١٠) ٠ و فى جوعه رأى السماء مفتوحة ، ورأى رؤيا عن قبول الأمم ٠

و كما كان صومهم مصحوباً بالرؤى و التوجيه الإلهى ، كان مصحوباً ايضاً بعمل الروح القدس و حلوله ٠ و يقول الكتاب : " و بينما هم يخدمون الرب و يصومون ، قال الروح القدس إفرزوا لى برنابا و شاول للعمل الذى دعوتها إليه ٠ فصاموا حينئذ و صلوا ،

ووضعوا عليهما الأيادى ، ثم أطلقوهما . فهذان إذ أرسلا من الروح القدس ، انحدرا إلى سلوكية " (أع ١٣ : ٢ - ٤) .

أمور هامة ، تميز بها صوم آبائنا الرسل ، منها : الصوم ، و الصلاة ، و الخدمة ، و عمل الروم القدس .

و يسرنا أن يعمل الروح القدس خلال الصوم و أن تأتى الدعوة الإلهية خلال الصوم و أن تتم سيامة الخدام أثناء الصوم أيضاً .. و أن يبدأ الخدام بالصوم ، قبل البدء بالخدمة .. هناك أصوام خاصة بالتوبة ، مثل صوم أهل نينوى ، و مثل اصوام التذلل التى تكلم عنها سفر يوئيل . و أصوام لإخراج الشياطين ، كما قال الرب إن هذا الجنس لا يخرج بشئ إلا بالصلاة و الصوم . و أصوام نصومها قبل كل نعمة نتلقاها من الرب ، كالأصوام التى تسبق الأسرار المقدسة كالمعمودية و الميرون و التناول و الكهنوت .

أما صوم الرسل فهو من أجل الخدمة و الكنيسة ، على الأقل لكى نتعلم لزوم الصوم للخدمة ، و نفعه لها .

نصوم لكى يتدخل الله فى الخدمة و يعينها . و نصوم لكى نخدم و نحن فى حالة روحية . و نصوم شاعرين بضعفنا ..

كم اشتهينا مجئ هذا الصوم ، خلال الخمسين المقدسة .

[٩٩] كلمة منفعة

كثيرون يبحثون عن المنفعة من الكلمة .. فإن لم يقرأوها أو يسمعوها ، يشعرون أنهم لم ينتفعوا !!

*و الحكيم يرى فى كل شئ كلمة منفعة .

*حتى صمت الآخرين ، يرى فيه منفعة ، و حكمة .. و ربما ينتفع من صمتهم ، أكثر من انتفاعه بالكلام .

*كل حادث يمر عليك فى الحياة ، فى حياتك أو فى حياة الآخرين ، يحمل إليك كلمة منفعة . لذلك فإن كثيرين ينتفعون من الأحداث ، أكثر مما ينتفعون بالكتب و المقالات و الكلام ..

*خبرة الحياة أيضاً مملوءة من كلمات منفعة لا تحصى ، وذلك لمن يستطيع أن يستفيد من الخبرة . لذلك دعينا إلى الإستفادة من حكمة الشيوخ ، لأن خبرات عديدة مرت عليهم ، كل منها تحمل كلمة منفعة .

*المرض كثيراً ما يكون فى حد ذاته كلمة منفعة .. ينطق فى أذن المريض بأقوال لا يجدها فى الكتب . كما يكون المرض أيضاً كلمة منفعة بالنسبة إلى المحيطين بالمريض من أهله و أصحابه وزواره ..

*والموت أيضاً كلمة منفعة استفادة منها مشاهير القديسين ، كالأنبا أنطونيوس مثلاً و الأنبا بولا .. و كثيرون كانوا يزورون المقابر ، لكى يستمعوا إلى كلمة المنفعة التى ينطق بها الموت فى قلوب الناس .. و هو صامت

*و الضيقات أيضاً هى كلمة منفعة لمن يحسن الإستفادة منها ، سواء لمن تحل الضيقة به ، أو من يراها فى غيره . فلا تأخذ من الضيقة تعبها . بل دروسها .

*و الطبيعة أيضاً فيها كلمات منفعة ، و إن بدت صامتة ٠ لذلك دعانا الكتاب أن نتعلم دروساً من زنابق الحقل ، و من طيور السماء ، حتى من النملة يتعلم الكسلان ٠
*كلمة المنفعة موجودة ، لم يحرم منها أحداً ، إنما الناس فى مجموعهم يحتاجون إلى موهبة التأمل و التعمق ، لكى يستخرجوا كلمة المنفعة من كل ما يصادفهم ٠٠ سواء كانت كلمات منفعة ناطقة أو صامتة ، مكتوبة أو مستنتجة ٠ و من له أذنان للسمع فليسمع

[١٠٠] محبة الذات

المحبة الحقيقية للذات ، تأتى بتدريب هذه الذات على محبة الله ، و دوام سكناه فيها ، وخضوعها لعمل روحه ٠٠
و لا يمكن للذات أن تتمتع بسكنى الله فيها ، إلا عن طريق النقاوة ، و الإتضاع الذى به لا يقاوم عمل الروح فيها ، و لا تفضل جهالتها على حكمة الله ٠

و هكذا تظهر المحبة الحقيقية للذات ، فى إنكار الذات ٠

إنكار الذات فى العمل ، حيث تقول " لا أنا ، بل نعمة الله العاملة فى " ٠ و إنكار الذات فى ترك محبة المديح و الكرامة " ليس لنا يارب ليس لنا ، لكن لإسمك القدوس أعط مجداً " ٠ و أنكار الذات فى الجهاد ، حيث يضحى المؤمن براحته و كل ماله ، من أجل بناء ملكوت الله

إنكار الذات فى التعامل مع الله ، و مع الناس ٠

و فى ذلك يفضل الإنسان غيره على نفسه فى كل شئ ، " مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة " و من هنا تأتى كل نواحى المحبة العملية نحو الآخرين ، ليس فى الكرامة فقط ، إنما أيضاً فى العطاء ، و البذل ، والتعب لأجل الآخرين ، و التضحية من أجلهم إلى بذل الذات عنهم ، و لا مانع من أن يحمل خطاياهم و ينسبها إلى نفسه ، يحرم نفسه من كل شئ ، لكى ينالوا هم ٠٠

غير أن البعض قد يحب ذاته محبة خاطئة دنيوية ، يحاول أن يبنيها فيهدمها ، و أن يرفعها فيضيعها ٠

و فى ذلك قال السيد المسيح " من وجد نفسه يضيعها ٠ و من أضاع نفسه من أجلى يجدها " الذين تركوا ملاذ العالم من أجل الرب ، يحسبهم أهل العالم أنهم ضيعوا أنفسهم ، بينما هم قد وجدوا الطريق الحقيقى لبناء الذات ٠ و يدخل ضمن هؤلاء أيضاً الرهبان و السواح ، وكل من تكرسوا لخدمة الرب ، و كل من قالوا له مع بطرس " تركنا كل شئ و تبعناك "

الذى يحب ذاته ، هو الذى يسير بها فى الطريق الضيق من أجل الرب ، و يحملها الصليب كل يوم ٠٠

هذا الإنسان هو الذى يحب ذاته حقاً ٠٠
أما الذى يعطيها كل شهواتها الأرضية و الجسدية ، فإنه لا يحب ذاته ، و إنما يحب العالم و شهوته ٠٠

صفحة

٥١-فى البرية و الهدوء	٧
٥٢-الحزبية	٩
٣٥-الإنقسام	١١
٥٤-الذى يحب أن ينتفع	١٣
٥٥-العمل الجاد	١٥
٥٦-أنا وحدى	١٧
٥٧-الأحلام	١٩
٥٨-الفكر الخاص	٢١
٥٩-الهدوء	٢٣
٦٠-الوسيلة الطيبة	٢٥
٦١-الفضائل الأمهات	٢٧
٦٢-محبة الإنتفاع	٢٩
٦٣-الصليب	٣١
٦٤-الإيمان	٣٣
٦٥-الصلاة	٣٥
٦٦-حياة البذل	٣٧
٦٧-التكامل فى الفضيلة	٣٩
٦٨-أعياد القديسين	٤١
٦٩-العمل مع الله	٤٣
٧٠-راجع طريقك	٤٥
٧١-الإستفادة من الأخطاء	٤٧
٧٢-النمو	٤٩
٧٣-التفكير المتأخر	٥١
٧٤-فى نهاية العام	٥٣
٧٥-الأمين فى القليل	٥٥
٧٦-الحقيقة كلها	٥٧
٧٧-كيف تعترف	٥٩
٧٨-تأملات فى الغطاس	٦١
٧٩-العنف أم الحزم	٦٣
٨٠-مستويان	٦٥
٨١-القليل و الكثير	٦٧
٨٢-المنفعة	٦٩
٨٣-الشكليات	٧١
٨٤-التجارب	٧٣

٨٥-كل شئ لروحياتك ٧٥
٨٦-التوبة وكمالها ٧٧
٨٧-محبة الله لنا (أ) ٧٩
٨٨-محبة الله لنا (ب) ٨١
٨٩-المحبة تبذل ٨٣
٩٠-حلول الرب ٨٥
٩١-ربنا موجود ٨٧
٩٢-رؤية أخرى ٨٩
٩٣-الإخلاص ٩١
٩٤-سلام الكنيسة ٩٣
٩٥-إعثار الآخرين ٩٥
٩٦-مجد الألم ٩٧
٩٧-الصعود ٩٩
٩٨-صوم الرسل ١٠١
٩٩-كلمة منفعة ١٠٣
١٠٠-محبة الذات ١٠٥